الجمهـوريـة الجـزائـريـة الديمـقـراطيـة الشـعبيـة
وزارة التعليـم العـالي و البحث العلمـي
جامعة وهران
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع الصحة

التبرع بالدم في الجزائر
دراسة سوسيو-أنثروبولوجية

من إعداد الطالبة:
شرايري آمال

لجنة المناقشة:
الأستاذ الدكتور: مرزوق محمد نصر الدّين.
الأستاذ الدكتور : يزلي عمار (رئيسا).
الأستاذ الدكتور : العايدي عبد الكريم (مناقشًا).
الأستاذ الدكتور : لقجع عبد القادر (مناقشًا).

السنة الجامعية :2011/2010

نتقدم بالشكر إلى كل من :

الأستاذ المؤطر مرزوق محمد نصر الدين على توجيهاته القيّمة التي أسهمت في إتمام هذا البحث .

السيد مبتول محمد؛ أستاذي ومدير مخبر البحث في أنثروبولوجيا الصّحة الذي وفّر لنا كامل وسائل البحث والذي أثرى معارفنا فيما يخـــــــــصّ الصّحة والمجتمع.

أبي وأمّي الشكر الجزيل لهما ، وإلى جميع إخوتي وزوجي العزيز الذين لم يتأخروا بتقديم الدعم المعنوي والمادي .

جميع زميلاتي وزملائي من الدفعة الثالثة ماجستير في علم الاجتماع الصّحة ، والذين أكنّ لهم كلّ التقدير والاحترام .

فهرس البحث

مقدمة عامة.....01

إشكالية البحث..... 05

الإطار النظري و المنهجي... 10

المحور الأول : **التبرع بالدم من المعاني و التصورات إلى ممارسة اجتماعية**

الفصل الأول :نتائج البحث......23

2-نتائج العمل الميداني الأولي و استخلاص نمط التبرع المناسب.....23

3-تحليل المحتوى.....25

الفصل الثاني: الظروف التي أدتْ إلى التبرع لأول مرة.....26

1- التبرع بالدم ضمن الإطار العائلي.....26

1-2الحوادث العائلية كنقطة بداية لبعض مسارات المتبرعين.....27

2-بداية التبرع بالدم ضمن العلاقات الاجتماعية الجوارية.....31

3-التبرع بالدم وتضمنه الشبكة الاجتماعية الثانوية.....31

4-الانتقال من التبرع بالدم لأول مرة إلى توالي التبرعات.....32

الفصل الثالث: التبرع بالدم كتصور اجتماعي.....36

1-الدم سائل يرمز إلى الحياة.....36

2- تأثير الدافع الديني.....38

3- التبرع بالدم تضحية رمزية مرتبطة بالأجر المعنوي وممارسة لغاية دنيوية....43

3-1إقتران التبرع بالدم مع بعض مراحل حياة المتبرعين.....43

4- الدافع الغيري من التبرع بالدم 51

4-1- الروابط الاجتماعية بين المنطق النّفعي و بين المنطق العطائي.....51

5-**ارتباط التبرع بالدم بالوضع الصحي لدى المتبرعين**.....55

5-1 المعرفة العامية عند المتبرعين حول النشاط البيولوجي للدم..... 56

5-2 الدوافع الصحية وراء التبرع بالدم الشبه المنتظم 58

5-3 الحجامة كتعامل صحي آخر عند المتبرع بالدم.....61

الفصل الثالث :العوامل المساعدة للإنتظام على التبرع بالدم الشبه منتظم.....65

1-مدى التزام المتبرعين بالمجال الفاصل بين تبرع و آخر.....65

2- العمل الذي يشغله المتبرع.....67

3- التعامل مع العاملين بالقطاع الصحي.....69

4- بطاقة المتبرع بالدم عامل غير مباشر للإنتظام على التبرع.....70

5- التعامل مع مؤسسات ذات الصلة بالطلبات الخاصة بالتبرع بالدم.....72

المحور الثاني: **البعد المؤسساتي لعملية التبرع بالدم**

الفصل الأول :

1-التسيير العمومي لعملية التبرع بالدم.....74

مركز حقن الدم، فضاء مهيأ لجمع التبرعات.....77

1-قاعة الانتظار كمجال تعارف مع المؤسسة بين المتبرع والمستفيد.....77

2-2-1 قاعة الانتظار فضاء لشخصنة الرابط بين المتبرع و المستفيد.....81

2-3- شباك الاستقبال.....86

2-4- قاعة الفحص الطبي.....87

2-5- قاعة الاقتطاع.....88

2-6- قاعة الاستراحة.....93

الفصل الثاني: نظرة المتبرع للمراكز المكفلة بجمع تبرعات الدم.....95

1-المركز كعامل وسيطي بين المتبرع و المستفيد.....95

2-الإشاعة و تأثيرها على تصورات و سلوكات المتبرعين.....97

2-1-الارتياب المتعلق بمسارات الدم.....97

2-2 المتبرع ورؤيته للوجبة المقدمة من طرف مركز حقن الدم.....103

خاتمة 106

قائمة المراجع.

الملاحق.

مقدمة عامة:

التبرع بالدم موضوع ذوأهمية ، حيث تكمن هذه الأهمية لتأثيرهفي مجال الصحة العمومية ويرجع السبب في ذلك إلى الحاجة لهذه المادة الحيوية و طرحه باستمرار ينصب عادة حول مشكل رئيسي و الذي يتمثل في حالة عدم التناسب بين الطلب المتزايد على هذه المـــــــــادة و العرض المحدود لها.

على الصعيد العالمي؛ و كما تشير الأرقام إلى أنه:«عبر العالم أكثر من **81** مليون وحدة دم تجمع كل سنة غير أن **39**٪ منها عائدة لدول ذات دخل الضعيف أو الدخل المتوسط حتى و إن كانت هذه الدول تمثل **82**٪من سكان العالم. التبرع لكل **1000** نسمة هو بمتوسط **3**مرات أكثر عددا لدى الدول ذات الدخل المتوسط و 12 مرة أكثر عددا لدى الدول ذات الدخل المرتفع مقارنة بالدول ذات الدخل الضعيف، بالنتيجة الحاجة خطيرة على بعض الفئات؛ حيث تمثل عملية حقن دم إجراء هام خلال التكفل العلاجي لهم من بينهم النساء اللواتي تحدث لهم مضاعفات خلال الحمل و الولادة، كذلك الأطفال الذين يعانون من فقر الدم الحاد بالإضافة إلى ضحايا الكدمات أو الإصابات ...في مجموع وفيات الأمهات من بين 500.000 وفاة، الربع منهن نتيجة نزيف حاد والتي تستلزم توفير كميات دم كبيرة و فورية، و الأطفال أقل من 5 سنوات الذين يعانون من فقر الدم الناتج عادة عن "البالوديزم" و سوء التغذية. أما الإصابات غالبا ما تكون ناتجة عن حوادث المرور؛ حيث يمثل هذا العامل الرتبة الثانية للوفيات و الذي يمس الرجال و النساء المنحصرين في المجال العمري من 5 إلى 29 سنة هم يحتاجون إلى عمليات حقن دم مستعجلة [1]....»

[1]L'organisation mondiale de la santé, 25 Novembre,2004 « Sécurité transfusionnelle : Proposition d'instituer une journée mondiale du don de sang », rapport du secrétariat, p.02.

الجزائر من بين الدول التي تعرف حالة اختلاف بين العرض و الطلب أي نقص المتبرعين و تذبذب عدد التبرعات بالإضافة إلى التباين بين فئات المتبرعين؛«... فحسب الإحصائيات الواردة عن مصادر الوكالة الوطنية للدم، فإن العدد قد تضاعف خلال عشرية 1994-2004 من **174405** إلى **305869**متبرع**و في 2008** إلى **385000** متبرع ليصل سنة **2010** إلى **412000** متبرع ،و قد بين ذات المصدر أن **60**٪ من هذه التبرعات هي في الأصل تبرعات عائلية و **20**٪ هم متبرعون شبه منتظمون و **20**٪ الباقية تمثل المتبرعين الظرفينبالمقابلفالوضع داخل المراكز الإستشفائية تبرز الإنخفاض المحسوس في بنوك الدم وبذلك مست الحاجة عدة وحدات صحية...»[2].

يبرز حجم المشكل بقوة خاصة عند ما تتصادف قلة المتبرعين و ارتفاع الحالات المستعجلة و التي لا تتحمل الانتظار، مثل هذه الحالات ترجع أكثر إلى حوادث المرور فحسب «الإحصائيات المسجلة من قبل مديرية أمن الطرقات خلال **2010** حوالي **3910** حالة وفاة و **61139** إصابة من بينهم **3000** في حالة خطيرة»[3] زيادة إلى حوادث أخرى كحوادث العمل و الحوادث المنزلية و العمليات الولادات القيصرية و محاولات الانتحار، بالإضافة إلى ارتفاع الأمراض التي تستوجب عمليات نقل دم مستمرة كمرضى السرطان (حالات الهيموفيليا خاصة).

[2] من الإحصائيات الصادرة عن الوكالة الوطنية للدم .
[3]منالإحصائيات الصادرة عن المديرية العامة للوقاية عبر الطرقات.

و تجدر الإشارة إلى أننا اعتمادنا على إحصائيات لم تصدر عن تقارير أكاديمية لعدم وجود دراسات تتمحور حول الموضوع ؛ لكنّها تبرز و جود مشكلة فيما يخص هذا الميدان و المتعلق بالتباين بين العرض و الطلب . هذه الأسباب الموضوعية الجديرة بتناول الموضوع لم تكن السبب الوحيد في ذلك، إذ أن للعامل الذاتي تأثيره المباشر و الذي تمثل في اجتياز تجربة التبرع بالدم لأول مرة، الحدث الذي ساعد على انتقاء الموضوع البحث. فبعدما تم استدعائي من طرف أحد المعارف بقصد التبرع لفائدة أحد الأشخاص، حيث كان هذا الأخير في حاجة لتوفير الدم قبل أن يخضع لعملية جراحية بمستشفى وهران.في اليوم الذي يليه مباشرة اتصلت بأهل المريض بوساطة الشخص الذي اتصل بي أول مرة، لأتوجه إلى **"مركز حقن الدم"** للتبرع.

مثلت هذه التجربة بالنسبة لي بداية التساؤل و الذي دعاني إلى الاستغراب أنه كيف لا يتوفر الدم في حينه للحالات المستعجلة في مركز استشفائي بحجم مستشفى ولاية وهران؟ ولماذا يتحمل أهالي المرضى عبأ البحث عن متبرعين في مثل هذه الظروف؟

وما إن سمحت لنا الفرصة لمزاولة الدراسة كطالبة في علم الصحة ، رأينا أن الموضوع له قابلية كبيرة للبحث فيه نظرا لاحتوائه على الشقين ؛ الأنثروبولوجي و الصحي ، لأن الدم من جهة سائل يحمل دلالات رمزية و موضوع معاني لعدة تصورات إنسانية هذه الميزات أهلته أن يكتسب مكانة هامة، لكن لقلة الإقبال على ممارسات صحية تدمجه بصورة رئيسية لاحظنا أن هذا التساؤل يطرح نفسه بإلحاح ، فاخترنا التطرق إليه من خلال هذا العمل الميداني.

أمام هذه الوضعية التي تشهدها يوميّا المستشفيات في الجزائر، يبدو مهما التطلع إلى الكشف عن الدوافع التي تحفز البعض إلى هذا النوع من العطاء في حين أن هناك آخرون لا يلون له أهمية بالرغم من أن الكلّ يتفق على أن هذا السائل الحيوي ذو أهمية بالغة، إلا أنهم معرضين عنه و غير شاعرين بالمعنى الحقيقي لافتقاده .

لذلك كان من الأفضل التطرق إلى كلتا الفئتين بين متبرعين و بين الأشخاص الذين لم يسبق لهم أن تبرعوا بالدم ، و لكن لمحدودية إمكانية التحقيق مع كليهما اخترنا خوض هذه الدراسة لدى الفئة الأولىوالذين توصلنا إلى تحديدهم بعد عمل ميداني أولي اشتمل في البداية على الأنماط الثلاث للمتبرعين؛ بين متبرعين لفائدة شخص من العائلة ، متبرعين ظرفين و بين متبرعين شبه منتظمين[4]. لنتوصل في الأخير إلى تحديد الفئة الأكثر قابلية للإجابة على التساؤلات هذه الفئة تتضمن المتبرعين الشبه المنتظمين.

[4]ملاحظة:

1- يصعب التأكيد على أن التبرع في الجزائر منتظم استنادا لما لاحظناه خلال العمل الميداني ، لذلك استعملنا نمط أقرب إلى التبرع وهو " التبرع الشبه المنتظم".

2-مصطلح "حقن الدم " المتداول في الوسط الصحي بدا لنا غير واضح لأن المركز مخصص لاستقبال المتبرعين دون المستفدين ، لذلك استبدلناه بمصطلح "اقتطاع الدم".

إشكالية البحث:إن موضوع التبرع بالدم يندرج و بصورة جوهرية ضمن السياق الانثروبولوجي**"للهبة"** و إذا كان هناك موضوع يخضع لتحليل" الهبة" فإنه يستوجب أن يحتوي على العناصر الأساسية في الهبة وهي الشيء موضوع الهبة هنا يتعلق الأمر بسائل الدم ، العلاقة التي تربط بين الذي يعطي و بين الذي يتلقى بمعنى الإطار الإجتماعي للتبرع و كذلك العلاقة السببية من وراء هذا التداول أي تداول الدم ،من خلال البحث عن الدوافعمن وراء التبرعى بالدم، وتسليط الضوء على فئة المتبرعين الشبه منتظمين، أردنا أن نبحث في هذه العناصر تحت الإشكال المتمثل في: ما هي طبيعة الدوافع من التبرع بالدم ، بمعنى أخر ما هو المبرر الذي تقدمه هذه الفئة و التي يجعلها مواظبة ؟.

و اعتبارا أن موضوع التبرع بالدم لا يبتعد عن الإطار العام لنظرية **"Mauss"** فيدراسته للهبة، اعتمدنها كنقطة انطلاق لبحثنا في محاولة لتطبيق ما استخلصه من دراسته الإثنوغرافيا التاريخية لنظم العلاقات التبادلية، و سائل الدم في حد ذاته مقترن بشدة بالسياق الأنثروبولوجي فلطالما اقترن و على مر القرون بحضارات و ثقافات متنوعة عبر العالم خلالها اكتسب مكانة أهلته أن يكون مركز اهتمام لمعاني و تصورات لسلطة نافعة كانت أو مؤذية ، و سبب أهميته راجعلكونه حامل لمعان رمزية قوية لدى مختلف الأديان و المعتقدات السائدة عبر حقب زمنية مختلفة.فتجد لدى الديانة المسيحية أنه عند تناولهم للدم فذلك سيمنحهم الحياة الأبدية ، أما بالنسبة للديانة اليهودية فإنه يشترط أن يعاد الدم للإله و ليس على الإنسان تناوله .

بالإضافة إلى أن الدم يستخدم كقربان في الكثير من طقوس السحر و الشعوذة.لدى المجتمعات القديمة و الذي يعتبر التضحية بالدم أساسي في ممارسة الطقوس.

يعرفها كل من **" Hubert"**و**" Mauss"** :« ... على أنها ذلك الفعل الذي بموجبه ينذر بأضحية من شأنها أن تغير من حالة الشخص العقلية عند إتمامها (أي عند انتهاء مراسيم

تقديم القرابين) الهدف منهاهو التغيير في حالة الأشياء التي يهتم بها... إذن التضحية عبارة عن تكريس الأشياء هي في الواقع ملموسة لكن بإمكانها أن تخلق فضاء روحيا يدخل خلاله الشخص في علاقة روحية رمزية مع الإله ... »[5].

يتعلق الأمر بتأسيس إتصال بين العالم المقدس والعالم المدنس. إن مثل هذه الطقوس والممارسات التي عرفتها بعض الحضارات كالتوتام totame والفيدا Védate هي عبارة عن طقوس لتقديم القرابين أو مايسمونه : **" باتفاق الدم"** والقصد منه هو التقرب من الآلهة والتطهر من الذنوب والخطاياىرى**"Mauss** " في محاولته في الهبة:« أن المضحي يمدّ توقعا منه على ماذا سيتلقى، إنه يتعلم على أن يمدّ للكل كون أن التضحية تعوض...»[6].

«وكذلك **Mauss**و**Hubert**أبرزوا أهمية التضحية في الطقوس الدينية، الموضوع يتعلق بالشيء موضوع التضحية يشترط وجود المضحي والإله حتى نتمكن من التضحية، إنه في علاقة مسافة لا منتهية، هذه المسافة بالنسبة للإله هي علاقة مباشرة...بذلك التضحية تظهر عادة بأحداث تنحصر في اسم التزاوج **Alliance** عن طريق الدم(....)لا يقدمه، بل يحتفظ إذا قدم المضحي فإنه لا يقدمه بل يحتفظ به بحذر أما إذا قدم المضحي فهو جزء ليتلقى. عملية التضحية نفسها وبالنسبة للشيء المضحى به تسير وفق مبدأ منطقي استبدالي المضحي يفقد جزء من نفسه حتى يربح علاقة مع الشيء أو مع أحد»[7]

وعلى الرغم من اتساع المجالات التي دخل فيها هذا السائل هو كذلك ذا طابع اجتماعيإذا تعلق الأمر بالحديث عن الدم النقي و الدم المـــــلوث كذلك الهويـــة و الانتماء،فقد أخذ صفاءو نقاء الدم موضوعاً رئيسيا في النظريات العرقية،وبالنسبة لبعض الطوائف الدينية كشواهد**"Jehovah"** أو الذين يسمونكذلك **بطوائف يهوى** فقد ذهبوا إلى تحريم و حظر

[5]Cité parDianteill,E et Lowy,M ;(2005) « Sociologies et religion,Approches dissidentes » France,Edition PUF ,pp75-79.

[6]Idm « Sociologies et religion,Approches dissidentes » op cit, pp75-79.

[7]citépar Papilloud,Ch ;(2002) « Le don de relation »*G.Simmel - M.Mauss*, France, 2Edition L'Harmattan, PP 75 – 79.

سفك الدماء واعتبروها إنتهاك للقانون الإلهي عند انتزاع الدم من أي كائن كان مهما كانت الدواعي من ذلك.

لا ينطبق هذا التفكير على عملية اقتطاع للدم البشري فإنها لا تنزع حياة المتبرع عندما يقدم من دمه ولكن بوسعه أن يساعد في استمرار الحياة لمن سيكاد يفقدها. وباستثناء هذه الفئة الأخيرة يمكننا القول أن مجمل الحضارات أجمعت على أن الدم هو ناقل للميزات الفيزيائية و الأخلاقية للشعوب.

أما عند الإسلام يحرم هذا الأخير شرب سائل الدم و لا يسمح بتناول أي أضحية (الذبيحة) دون ذبح؛ أي اشتراط سيلان الدم و خروجه بالكامل منها، التعامل مع السائل لم يقتصر فقط ضمن حضره كغذاء و لكن؛و زيادة على هذا الجانب ارتبطت التضحية في الإسلام كذلك بفكرة الدم المقدّس أي الدم الذي يراق أثناء الجهاد و ارتبط افتداء الدم عند المسلمين عندما طلب الله عز وجل من سيدنا إبراهيم افتداء دم ابنه إسماعيل اختبارا له على صبره وطاعته لأوامر الله. وكانت حكمته أن فداه بكبش عظيم ليحل دم الحيوان محل دم الإنسان.

حاليا لدى المجتمعات الغربية هناك تراجع للتأثير الديني فأي دلالات فيها تعامل مع هذا السائل يعطي معاني مغايرة **لانكية،** على عكس المجتمع المعتنق للإسلام فالدين لا يزال محتفظ بهيمنته؛يتضح هذا عند تقديم التبرير الديني في الطليعة كل ممارسة مثلا **" الحجامة"** التي تستمد جذورها من الطب النبوي كما سيأتي ذكرها في سياق العمل.

إن السياق **الأنثربولوجي لسائل الدم** أخذ مفهوما أوسع لينتقل من الممارسات الفيزيقية و الروحانية في بعض الطقوس الشّعبية إلى مظهر من مظاهر التقدم الناتج عن التطور العلمي و البيوتكنولوجي لدى المجتمعات المعاصرة مامكننا من إدراجه ضمن السياق الأنثربولوجي للهبة « خصوصية هذه المقاربة أي **"انثربولوجيا الهبة"**تأخذ بعين الاعتبار كل ماهو

متداول هي روابط تقدم معنى لكل هبةهي علاقة اجتماعية بامتياز. الهبة قبل كل شيء علاقات بين الأفراد إلى الأفراد...نوع من التداول للممتلكات في خدمة الروابط الاجتماعية»[8]

و بدخول سائل الدم و التبرع بالدم ضمنه، جعلت منه سائل حيوي الذي لا تنحصر وظيفته فقط ضمن إبراز الدور البيولوجي و الحاجة الطبية له؛ هو كذلك موضع تفكير اجتماعي يعود ذلك لاقترانه بعدة جوانب اجتماعية و ثقافية. يتوافق هذا مع ما استعرضته في نموذج كلا من"Nancy Scheper Hughes"و"Margret Lock "،عن معاني والدلالات الخاصة بالجسد.

إن التصورات التي نعرفها عن الجسد و محدوديته، توسعت لتخرج من النطاق المادي الفيزيائي. لذلك برزت الدراسات الأنثروبولوجية كمجال ينظر فيه الباحثون في العلوم الأجتماعية نظرةً **"هوليستيكية لهذا الجسد"** ولتعميق العوامل السوسيوثقافية لهذا المصطلح وضع الجسد كمشروع دراسة يأخذ بعين الاعتبار ثلاث مستويات للتحليل .المستوى الأول؛ الذي يتعلق بالجسد الفردي بالمفهوم الفينومينولوجي أي هو تفكير بالمفهوم الظاهري للتجربة التي يجتازها الجسد بحد ذاته**"thebody - self"**، والمستوى الثاني المتعلق بالجسد الاجتماعي**"the social - Body"** خلال هذا المستوى تبرز التصورات التقليدية للجسد يتعامل فيها مع الطبيعة المجتمع و الثقافة ، أما المستوى الثالث و الأخير هو سياسة الجسد**"politicthealbody"** أين تحدث عملية حراسة ومراقبة الجسد في مجالات التكاثر، الجنس ، العمل و الاهتمامات، المرض و أشكال أخرى للجنوح و الاختلاف بين الأفراد .

«....ومصطلح "اقتطاع الدم " يتضمن بطريقة أساسية التصورات التي لدينا عن الجسد و محدوديته. فمعالجة أيّ جزء من الجسد قاعدته سائل يحقن في جسد غيره بوساطة حركة

[8]cité parGodbout,j **;**(2000) ,(1ère éd 1992) « L'esprit du don » ,Paris , Edition la Découverte& Syors ,P.132.

علاجية مؤهلة، تصطحب بديهيا المستويات الثلاث لتحليل الجسد الموضوع من طرف:Scheper Hughes.Nو Lock. M.... »[9]

يتماثل هذا النموذج و الموضوع؛ إذ أنه يزاوج بين المقاربتين المتلازمتين أي **"انثروبولوجيا الدم" و" انثروبولوجيا التبرع بالدم"**ويمكن دراسته بحسبه ؛ فعلى المستوى الأول" **self - thebody"**تتدخل التصورات و الأبعاد الرمزية المختلفة حسب ثقافة الأفراد ، بحيث يدخل الجسم الفيزيائي في علاقة مشحونة بالرمزية ليخرج الدم الذي يحتويه جسم الإنسان من معناه البيولوجي كسائل حيوي و علاجي إلى قربان ذو بعد رمزي .

وبالنسبة للمستوى الثاني **"the socialbody"** فإن الدم يأخذ بعدا اجتماعيا و موضوع تفكير مرتبط بالإنتماء محركه الدافع التضامني و الغيري، لأن الجسد لا يخوض التجربة بنفسه و لنفسه كون أن السائل يعطي و يستقبل وفق معايير و شروط تحدده تجربة الجسدالفيزيائي.

أما البعد الثالث الجسد السياسي **"the iticPolalbody"** فإن سلوكه يشترط جهاز مؤسساتي يتعامل معه الجسد الفيزيائي مباشرة فيكون بذلك رؤية سواء تحفزه للقيام بالفعل دون تأثير خارجي أويلجأ إلى استراتيجيات أخرى في ممارسته (باستثناء الحالات الاضطرارية؛ أي مرض أحد الأفراد من العائلة و يحتاج إلى الدم، التبرع له لا يحتاج إلى التفكير أو الانتظار . أما إستراتيجية المتبرع فهي تأخذ بعين الإعتبار إمكانية التبرع لكن وفق بعض الشروط التي يحددها المتبرع مثل اختيار المكان و الزمان و حتى الأشخاص يرى أن حاجتهم ملحة للدم لذلك يفضل أن يتبرع لفائدتهم).

[9]cité par Grassineau ,D;(2007) « Au fil du sang, usages thérapeutiques et politiques du sang Humain à Ngazidja union des Comores » .mémoire de master 2en sciences sociales, Francep.09.

التبرع بالدم كهبة يمكن أن يخضع لهذه المستويات، و الهدف من ذلك هو التعرف على كيفية اشتمالها عليها كذا إمكانية تفسيرها وفق التأثير الثقافي على الجسد الفردي و الجسد الإجتماعي ، و معرفة الروابط المتبادلة بين المتبرعين و المتلقين .

الإطار النظري و المنهجي:

1 - الإطار النظري:

من خلال**دراسة حول الهبة لـ"MaussMarcel " (1923-1924).** والتي اخترناها كمرجع نظريليندرج ضمنها البحث المراد دراستهنظرا إلى توفرها على العناصر الأساسية للهبة السابق.في جملة ما استخلصه رأينا أنه يتناسب و الموضوع بداية باعتبار أن سائل الدم يمكن اعتباره هبة لأنه أولا قابل للتداول و تتشكل من خلاله روابط أول مع الشيء المتداول ثم مع الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد.

حتى و إن كان **"محاولة في الهبة "** موضوعه الهبة في المجتمعات البدائية، فهو يهتم إلى المعنى بصورة عامة، فقد تتزامن الهبة في مجتمعنا المعاصر ضمن أشكال مختلفة منها كهدايا، الصدقة، الخدمات المختلفة وغيرها. يقول **"Mauss"**حول **"البوتلاتش"**:«...أنه نبيل مليء بالإشارات و الكرم، و في حالة ما حدث في غير موضعه، فهو يكون موضع احتقار بارز...»[10]عند**"Mauss" الهبة** في عمق الروابط الاجتماعية، وتأخذ عدة أبعاد باعتبارها كما أسماها **"بالفعل الاجتماعي الكلي""totalsocialfaitLe"**. عندما يتعلق الأمر بالعلاقات التبادلية و الأشياء المتداولة، الهبة تحيطها ظروف دينية و اجتماعية و ثقافية و رمزية لتخضع لقاعدة ثلاثية الحد و المتمثلة في: العطاء، التلقي، و الإرجاع.

و قد تحدث عن الشكر و العرفان عند تقديم هبة احتفائية ، في البداية الهبة تلاحظ على شكل هبة حقيقية ؛ لكن الواقع هي ليست كذلك .في المجتمعات البدائية أبرز أن للهبة لديها ظاهر

[10]cité par Godbout,J;(2002) «ce qui circule entre nous ;donner, recevoir, rendre», France , EditionSeuil , pp138-140.

أنها من دون مقابل ، لكن الواقع أنها تخضع إلى إلزام (إكراه) و انتظار مقابل و هذا ما تعارض و بطريقة راديكالية مع ما استنتجه غيره أي الإرجاع إجباري هكذا بدأ في دراسته للهبة.

لكنه غير من موقفه عندما بدأ في البحث عن "معنى الفعل" الذي يلاحظه ليتعارض شيئا فشيئا حول خاصية "الإجبار" الذي يميز الهبة عند البدائيين إلى الحرية عند المعاصرين لينتهي بمزج الاثنين معا و يخرج بنتيجة أن **" الهبة فعل اجتماعي "**.

الهبة كفعل اجتماعي:

ركز في البداية على خاصية الإجبار لننظر إلى الهبة على أنها فعل اجتماعي و الابتعاد عن الهبة الخالصة، لكن بالنتيجة من الصعب الهروب من التفكير الأخلاقي و توجيه الهبة كفعل اجتماعي ، ليضيف خاصية الإجبار في رد الهبة لأنها من دون هذا البعد هي فعل فردي و أن الهبة الخالصة هي فكرة خالصة و بعيدة عن الواقع الاجتماعي **" الكل يرد ما قدم لهم بشكلما".**تقود الأشخاص إلى رد الهبة و التي لا تحتمل جواب يتضمن إكراه إلى أنه لم يتوقف عند هذه النقطة ليتناقض مع الهبة الخالصة، بل توسع ليتساءل عن القوة التي واحدا حتى و إن استعنا بتأثير العادات و الأعراف. **"Mauss"**، حاول أن يبتعد تدريجيا عن مفهوم "نظام الإكراه" فقد أدرج مفهوم الحرية أي إجبار ممزوج بحرية. الهبة تصبح عبارة من الطبيعة الرمزية و التواصل الإنساني . إذ ليس هناك رمزية بدون حرية، و بذلك ابتعد عن التفكير في الهبة على أنها فعل يخضع لقاعدة التبادل و عن الهبة أنها فعل خالص ومصطلح التبادل الذي استعمله قليلا يبرز في القوة التي تقود إلى العطاء بعد تلقي هبة[11].

في نظرية **"Mauss"** تضمنت العلاقات المجهولة بين المعنى المقدم للهبة و بين الواقع الذي حدثت من أجله، بين معنى ما هو متداول وبين من يتداول، بين الشكل و المضمون

[11]cité par Godbout,J «ce qui circule entre nous ;donner, recevoir, rendre»op. cit pp138-144.

و "المضمون" متناقض بين المعنى المعبر من قبل الفاعلين و بين المعنى الذي يستخرجه الملاحظ بالمقارنة مع ما هو متداول، قوة الهبة تكمن في معناها الضمني ، حيث أن العديد من الدراسات التي تتوقف فقط عند الحسابات وتقدير كل ما هو متداول غير أن الهبة تناقض بين الهيئة و المضمون كما قال في ذلك:«..الهبة ظاهريا حرة ولكن في العمق حتمية..»[12]

كذلك طبيعة الموضوع و تحليله تطلب الإستعانة بالنظرية الخاصة بالتصورات الاجتماعية لأن طبيعة البحث تخص التعرض إلى نظام المعاني؛ هذه المعاني بمثابة بناء نتمكن من خلالها من إيجاد التفسير للأفعال و إمكانية ذلك تتحقق فقط بالتعرض إلى التجارب التي يمر بها الأفراد. و قد جعل **"Weber"**من التصورات الاجتماعية كإطار مرجعي و ناقل للفعل الصادر من الأفراد حيث عرّفها:«...إن هذه الوضعيات الجماعية التي تنتمي إلى التفكير اليومي أو التفكير القانوني (أو إلى أي تفكير آخر أكثر خصوصية) هي تصورات لأي شيء الذي هو من جانب موجود و من جانب آخر تصورات تسبح داخل رؤوس أناس واقعين (ليس فقط رجال القانون و الموظفين ،بل كذلك عامة الناس) من خلالها يوجهون سلوكياتهم و بنياتهم . كما أن لديها أهمية سببية بالغة ، أكثرها مسيطرة ،من أجل طبيعة سيرورة النشاط الإنساني الواقعي»[13].

لذلك كان مهما التطرق إليها لأن التبرع بالدم ينطلق من خلفية تصورية و التي بدورها تساهم مباشرة في التأثير على سلوكه.

[12]Mauss,M, « Essai sur le don , forme et raison de l'échange dans les société archaïques » in sociologie et anthropologie» p.153.
[13]cité par (dir.) Jodelet ,D ;(2007) « les représentations sociales » France,Edition PUF, pp59-61.

وبما أن التساؤل الذي نحاول الإجابة عنه يتمحور كذلك حول البحث عن العوامل التي تحول التبرع من مجرد معاني و تصورات تجول في أذهان المتبرعين إلى ممارسة فعلية.هذه الأخيرة تحركها جملة من الدوافع .

الدافع أو الحافز كما عرفه **"Lagache"(1949)**:«...تمكن تعريف الحافز على أنه حالة من الفصل و التأثير الذي يضع الجسم في هيئة حركة حتى يبدأ هذا التأثير يتلاشى شيئا فشيئا ليسترجع الجسم وحدته...» ميزة هذا التعريف عضوي أي تأثر الجسم بتنبيه يجعله في وضعية حركة و لكن في دراسة الدوافع في علم الاجتماع يكمن في البحث بين مختلف الأسباب وراء حدوث الفعل، هذه الأسباب هي التي تقود الفاعل إلى تطبيقها و يشترط هذا الأخير أن يكون الأكثر قابلية للتحقيق.

في علم النفس الإجتماعي العديد من الدراسات التي توضح الدور الهام الذي يشمل تأثير نظرة الآخر على الدافع الإنساني. بين الإرادة في القيام بالفعل و بين الرغبة في العرفان (الإمتنان و الشكر) بالنظر من هذه الزاوية يمكن التّعرف على البواعث الأساسية لسلوك الإنساني. فهناك الكثير من التجارب التي بيّنت أنه عندما يكون الشخص تحت مراقبة أحد خلال ممارسة نشاط كالرياضة مثلا تقود إلى تقوية المجهود بهدف مضاعفة حظوظ الفوز.

من بين مختلف النظريات وجدنا أن**"النظرية المعرفية"** الأقرب إلى الموضوع و التي ترى أن التوجه الذهني و أطواره يرتكز حول الدوافع و الأهداف التي نسعى إلى إدراكها. علماء النّفس الأمريكيين من بينهم **"Rayan,R وE Deci,"** قد درسوا تأثير الحاجات المستقلة عن الدوافع الفردية حيث ميزوا بين **الدوافع الداخلية الجوهرية** و بين **الدوافع الخارجية»**[14]

[14]cité par (dir.) Dortier,J.F ;(2008) « Le dictionnaire des sciences humaines», France,EditionSciences Humaines pp 483-486.

هذه النظرية التي تعتبر الحافز ينطلق من الأهداف المسطرة في البداية و بين النتائج التي يمكن الحصول عليها. هذه الأهداف يمكن تنظيمها ضمن مستويات تدريجية من الأكثر رفعة و التي يمكن أن تصل حتى التجريد(أي أهداف خالصة) و بعدها الأهداف الثانوية (كالاستفادة من الفعل على المدى البعيد) و أخيرا الأهداف الابتدائية (كالاستفادة من الفعل على المدى القريب)[15].

بعد استكمال النشاط تجرى مقارنة بين الأهداف و النتائج المحصل عليها، و هي التي تتحكم في الإستمرار أو التوقف. حسب هذه النظرية يمكن أن تجعل من الفرد **"استراتيجي"** ليسفقط عند و ضعه للأهداف،لكن في التقييم و التصحيح و إعادة صياغة النتائج.

و تجدر الإشارة أن الدافع ليس حالة ثابتة لكن عبارة عن أطوار و محط تساؤل لأنه يبنى خلال الزمن و يتجدد بدون توقف. نفس الشخص الذي يكون دافعه إلى فعل ما يمكن عبر الزمن أن يفقده بتدخل عوامل كالحرمان من حق ما أو إلى الصراع. لذلك يمكن الإعتماد على دراسة و تحليل حالات كلّ على حدا.

[15]cité par (dir.)Dortier,J.F« Le dictionnaire des sciences humaines» op. cit pp 483-486.

أما في ما يختص بتحليل الروابط الاجتماعية التجأنا إلى النظرية الكلاسيكية الخاصة ل"**E,Durkheim**" لاحتواء الموضوع على مفهوم التضامن « معظم الدراسات في علم الاجتماع لم تنقطع منذ أكثر من قرن من الرجوع إلى **التضامن الميكانيكي** و **التضامن العضوي** حيث هاذين المصطلحين يمثلان المبدأ الأساسي في فهم الوسط الاجتماعي كيف يحدث لنصبح أكثر استقلالية لأن الفرد أشد الاقتران بمجتمعه؟ للإجابة على هذا التساؤل ميز "**Durkheim"(1893)** بين نوعين من التضامن: التضامن ميكانيكي يتصف بالتشابه و يرجع إلى المجتمع التقليدي أين الأفراد قليل ما يختلف الواحد عن الأخر، يتقاسمون نفس الأحاسيس و يخضعون لنفس المعتقدات و متلاحمين لنفس القيم. الضمير الجماعي قوي و يغطي أكبر قسم من الضمير الفردي.الرقابة الاجتماعية الأكثر صرامة و الحقوق ذات طبيعة قمعية. أما التضامن العضوي هو الشكل المعاكس و الذي يميز المجتمعات الحديثة، و ما يكرس الروابط الاجتماعية فيها هي قبل كل شيء الاستقلالية في الوظائف المنسوبة لكل فرد و التي تختلف الواحدة عن الأخرى. حسب"**Durkheim**"تقسيم العمل الاجتماعيالذي تعرفهالمجتمعات المتقدمةليست عائق للتضامن، على العكس فهي تقوي التكامل بين الأفراد بحيث يفرض عليهم التعاون، و على كل فرد أن يدرك من خلال عمله أن يكون نافعا للجميع..[16]«**.... و**تأسيس قاعدة أخلاقية جديدة للمجتمع تقوي الروابط بين الأفراد والمجتمع أساسها أخلاق اللائكية و التربية المدنية هي لدى "**Durkheim**" العناصر الأساسية لقاعدة أخلاقية اجتماعية جديدة....»[17].

[16]cité par :Paugam ,S ;(2006) « Repenser la solidarité»,France,Edition Lien Social et PUFpp7-8.

[17]cité par (dir.) Dortier,J.F« Le dictionnaire des sciences humaines» op. citP. 689.

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت موضوع الهبة و لكن خصّت **"التبرع بالدم"** في ذلك وجدنا أن دراسة **(1970) R, Titmuss** الوحيدة[18]. و الذي تناوله من الجانب الاقتصادي و من خلال تقديمه لمعطيات كميّة أبرز فيها أن التبرع بالدم في المجتمع الغربي القائم على السياسة الرأسمالية و التي تعتبر الدم كمورد مالي و منتوج قابل للمتاجرة ضمن سياسة تتبعها بعض الأنظمة الغربية.وقد أجرى الباحث مقارنات تختص بمختلف الأنظمة المكلفة بجمع و توزيع الدم البشري في كل من الولايات المتحدة الأمريكية و انجلترا و فرنسا و قام بنقدها كونها جعلت من هذا السائل الحيوي بضاعة قابلة للمتاجرة و تجريده من خاصيته الإنسانية. لذلك برز مناهضا لها مبينا أن للتبرع بالدم له دافعه الاجتماعي وهو مشكل لروابط اجتماعية و إنسانية أساسية.

إضافة إلى انه أبرز البعد المؤسساتي للتبرع أو ما أسماه **"بالبناء الاجتماعي للتبرع بالدم"** في نظره المتبرع إذا كان متطوعاً يتجاوب أكثر ، إذا ما تعلق الآمر بالمنفعة الأنانية فمن شأن ذلك أن يقضي على النظم و القيم الموجودة في المجتمع و يمحى كل ما هو غيري لدى هذا الباحث الاختلاف الكبير بين الهبة البدائية و الهبة الحديثة أنها تتميز بخاصية **" اللاتعارف "** ، بالنظر إلى النتيجة «..بما أن التبرع بالدم لا يخلق رابط شخصي و فإنه لا يتضمن علاقة تبادلية..»[19]

[18]لعدم تمكننا من الحصول على الكتاب الرئيسي الخاص بدراسة **" R,Titmuss "**الصادر بالإنجليزية و نظرا لأهميته في بحثنا لم نستطع سوى الإكتفاء ببعض المقتطفات التي تمّ إدراجها ضمن مراجع أخرى و التي تناولت موضوع الهبة.

[19]Stiner, Ph ;« Revue Française de sociologie » N°42-2 Avril- Juin , 2001 ,"Don de sang et don d'organes"PP 357 – 372.

خضوع التبرع بالدم إلى قاعدة الفعل الاجتماعي الكلي يجعل من التبرع نوعا من الإلزام غير أن هذا الإلزام ليس قصريا بل رمزي كأن يرجعه فاعله إلى الشعور بالانتماء إلى الدين أو إلى الروابط الخاصة بمجتمع معين ، فالتبرع بالدم فعل ذا مكسب أخلاقي و ذاتي أكثر منه إكراه اجتماعي **"التبرع كالإمتنان الإلزامي"**[20] كما أسماه**"R,Titmuss"** أما الحد الثاني المتعلق بالمتلقي أي المؤسسة ، هي العامل الوسيط المتمثل في المراكز المكلفة بعمليات اقتطاع الدم من الأشخاص القادمين إلى المركز، إجراء التحاليل و توزيع و إيصال الدم إلى الذين يحتاجونه من المرضى حفاظا على خاصية اللاتعارف بين المقدم والمستقبل . إذن هذه المراكز هي أول من يتلقى هبة الدم. و بخاصية اللاتعارف التبرع يفقد ميزة الإرجاع المادي كما هو الحال في تداول هبات أخرى كالهدايا و المال مثلا.

حاول هذا الباحث أن يجعل من التبرع بالدم كنموذج أصليّ أو أولي **un prototype**للهبة الحديثة المبنية على علاقة تشمل الغرباء فهل ينطبق ذلك على المتبرع بالدم في الجزائر ؟ و في أي نقطة تكمن مواطن الاختلاف عملية" التبرع بالدم" بين الدول الغربية و الجزائر؟

[20]Titmuss ,R;(1972)«The gift relationship from human blood to social Policy»,New york vintage books p.239.

2- الإطار المنهجي:

بما أن التبرع بالدم يندرج ضمن إطار انثربولوجي اجتماعي، فإن المنهج الكيفي أكثر ملائمة و التساؤلات المقترحة، و التحليل الكيفي للمعطيات المستجمعة تقترح البحث عن طرق رؤية الأشياء من قبل الفاعلين موضع الدراسة، أي البحث عن"المعنى" حسب النموذج الثقافي الذي تسير وفقه.

و محاولة الإجابة على جملة التساؤلات انتهجنا المقاربة التفاهمية **"l'approche comprehensive"**لـ :**"Maxweber"**.بقصد التعرف على التصورات التي يحملها المتبرع بالدم وإمكانية البحث عن الأسباب الذاتية و الموضوعية التي تحفز المتبرعين على أن يكونوا متبرعين شبه منتظمين مستعملين تقنية المقابلة في ذلك.

لأن « والتحقيق عن طريق المقابلةهي الوسيلة المفضلة لاكتشاف الظواهر حسب **"Blancher"**و**"Gotman"** حيث يمثل **"الخطاب"** الناقل الأساسي، هذه الظواهر التي تتعلق بالنظم التصورية (كبناء فكري) والممارسة الاجتماعية (كظاهرة تجريبية) الأولى تنتمي إلى إيديولوجيات و إلى القيم و التصورات و المعاني التي يرجع إليها الفاعلون ممارستهم . أما الثانية التي تتعلق بالرهانات les enjeux الخبرات الشخصية والمسارات trajectoriesو الأطوار procéssusles ...»[21]

[21]cité par Albarello,L ;(2003)« Apprendre à chercher, l'acteur social et la recherche scientifique» EditionBoeck, p65.

استعملنا المقابلات المتكررة" **Lesentretiensrépétés** "،هدفنا من خلالها إلى استفاء جوانب الموضوع و كذا تمنح للمبحوثين التكلم بحرية و بدون قيود منهجية .هذه المقابلات أجريت أغلبها خلال فترات زمنية متباعدة بهدف متابعة وتيرة التبرع لديهم. بالإضافة إلى اعتمادنا على المقاربة التفاعلية "**l'Approche interactionniste**" لوجود العنصر التفاعلي بين المتبرع و المؤسسة المستقبلة ، فمن خلال تتبعنا لمسار هذا البحث مستعينين بتقنية الملاحظة المباشرة "**L'directeobservation**"التي خصصناها لرصد سلوكات المتبرعين هدفنا إلى معرفة نوع العلاقة التي تؤسس بين المنبرعين والطاقم العامل في المركز وقد حاولنا قدر الإمكان إجراءها في ظروف تتأقلم فيها أكثر بالميدان – الملاحظات التي ندونها في دفتر غير لافت للإنتباه – الهدف من وراءه عدم التأثير على السلوك الذي يصدر عنهم وبالجلوس والانزواء في قاعة الانتظار دون إصدارأي تعليق وتفادي التعرض لأي استفسار؛ للاستفادة من التفاعلات بين الفاعلين الاجتماعين التي قد تحمل دلالات أكثرخصوصية هذه المقاربة « ...هي أنها رؤية ميكروسوسيولوجيا العلاقات الخـــــارجة عن الفرد، عند تحليل ممارسات الحياة اليومية حسب**E .Goffman** تظهر السلوكيات المنتهجة تبعا للوضعيات التي يكونون فيها سواء (في العمل، العائلة، بين الأصدقاء أو الأعداء...)»[22]

فأرضية الميدان كانت بمثابة مسرح كما أسماه "**E.Goffman**" تصطدم فيه المعاني التعبيرية التي يحملها المتبرع و ما يصادفه أو يحدث أمامه قد يغير من سلوكه أو ينتهج مسالك أخرى تساعد على استمرارية الفعل، و اعتمادنا على هذه التقنية ليس فقط على مستوى مركز حقن الدم كذلك شملت بعض الأماكن أخرى كالمنزل أو مكان العمل قصد التعرف على معرفة وسطهم الاجتماعي و إذا ما كان له تأثير على استمرار يتهم في التبرع بالدم.

[22]Cité par Dortier,J.F« Le dictionnaire dessciences sociales » ;Op.cit PP 363-364.

اختيار عينة البحث

1-العمل الميداني الأولي :

بعد أن قمنا بتحديد إشكالية بحثنا، في البداية لجئنا إلى القراءات أو ماكتب عن التبرع بالدم في الجزائر فاقتصر الأمر على عرض الموضوع عبر الجرائد من الجانب الكمي كعدد المراكز الموزعة عبر مستشفيات البلاد، الشاحنات المتنقلة لجمع التبرعات و الإمكانيات التقنية و البشرية الموجهة لذلك إضافة إلى إحصائيات لعدد المتبرعين و توزيعهم حسب الأنماط ثلاث : بتبرعات عائلية التي تمثل أكبر نسبة **60%** من التبرعات كما أسلفنا الذّكر و التبرع المنتظم[23] و التبرع الظرفي أو المناسباتي و اللذان يمثلان النسب المتبقية بالتناصف أي **(20% لكل واحد).**

- قصدنا ميدان البحث ليقع الاختيار على « **مركز حقن الدم**» الواقع بالمركز الإستشفائي الجامعي لولاية وهران و يرجع هذا الاختيار نظرا لأقدميته على مستوى الولاية وكذا اعتباره الأكثر مقصدا من قبل المتبرعين مقارنة بمركز حقن الدم الواقع بمســــــــــــتشفى **01** نوفمبر بحي **USTO** البعيد نوعا ما عن وسط المدينة . موقع المركز عند مدخل المستشفى و وضوحه للعيان جعل التردد عليه يسيرا للمارة و الزائرين للمستشفى.

[23]- هناك نوع من التحفظ عند القول بأن هناك تبرع منتظم بالجزائر بالمعنى الدقيق أي أربع تبرعات في السنة لدى الرجال و لدى النساء بالموازات مع ما لاحظنا في عينة البحث.

- في ظرف **5**أشهر، هي مدة كانت كافية للتعرف على الميدان والتمكن من إجراء مقابلات أولية مع **38** شخصا[24]اختلفت أنماط تبرعاتهم ، وقد استعملنا دليل مقابلة يشمل كل الأنماط و اكتفينا بمقابلة واحدة.

ومن الوسائل التي استعملناها في البحث المئزر الأبيض ، ذلك خلال لقاء التعارف الأولي مـــع المتبرعين في قاعة الاقتطاع الذي كان له تأثير ايجابي، حيث سهّل كثيرا التواصل مع المبحوثين وكذا كسب الوقت فيما يخص بناء علاقة الثقة معهم و تسهيل التأقلم مع العاملين في المركز، الأمر الذي سهّل علينا الحصول على عناوين أغلب المبحوثـــين بقصد إجراء مقابلات متكررة.

وقد استعمالنا مسجل الصوت في بعض المقابلات فكان من الضروري اللجـــــــــوء إلى الطـــــريقة التقليدية المتمثلة في الورقة و القلم . بعدما لاحظنا أن المبحوثين يرتاحون أكثر لها ويرجع السبب في تحفظهم خاصة عندما يتعلق الأمر بسرد وقائع حياتهم الخاصـــــــة أو عندما يتحدثون عن رؤيتهم لمراكز حقن الدم .

[24]-أول المقابلات أجريت على مستوى قاعة الانتظار و كان الهدف هو الملاحظة التي أردنا أن تكون ظروفها أقلّ لفتاللانتباه من قبل العاملين بالمركز.

المحور الأول

المحور الأول

التبرع بالدم من المعاني و التصورات إلى ممارسة إجتماعية

التبرع بالدم من المعاني و التصورات إلى ممارسة إجتماعية.

الفصل الأول :

نتائج البحث

1- نتائج العمل الميداني الأولى و استخلاص نمط التبرع المناسب :

من خلال النتائج المبدئية للتحقيق الأولي الذي تضمن الأنماط الثلاثة؛ استنتجنا أن الفئة الأكثر استجابة لموضوع البحث هم: ***" المتبرعون الشبه دائمين"*** ليس بالنظر إلى عددهم فهم يأتون في المقام الثاني بعد التبرعات العائلية وبما أن الذين يتبرعون لذويهم تختلف ظروفهم عن الذين يتبرعون بصورة دورية لأي شخص كان، قد يكون تبرعهم هذا الأول لهم فحادثة مرض في العائلة أو حادث يستلزم فيه تقديم الدم لا يمثل هبة أو التبرع بالمفهوم الإرادي للفعل، خاصة إذا ما تعلق الأمر بحالات الأمراض المزمنة التي كسرطان الدم الذي يتوجب على أهالي المرضى توفير الدم بانتظام، إنه أشبه بتوفير الدواء. هذا النوع من التبرع إلزامي بالدرجة الأولى ،لا يمكن الإستناد عليه.

بالنسبة ***للمتبرعين الظرفين*** وقد ميزنا في عملنا الميداني إلى نوعين: هناك من يتبرع و قد صادف في طريقه شاحنة جمع التبرعات، أو شارك في حملة توعية لجمع التبرعات فبدافع الفضول اجتاز التجربة أما النوع الثاني: المتبرعين عند الطلب بمعنى استجابة لنداء سمعه في الإذاعة أو في المسجد أو من طرف صديق لفائدة شخص مريض يجهله أو يعرفه. وقد يتبرع كذلك لحاجة إدارية **(كبطاقة زمرة الدم، رخصة السياقة، عقد الزواج...)** في هذه الحالة أغلبهم يكون التبرع هنا لأول مرة و لم تكن فكرة التبرع بالدم قد تبادرت في أذهانهم قبلا.

و تبرير الذي قدمته هذه الفئة هو: التخوف من الأمراض المتنقلة عبر الدم، التخوف من الإبرة، إضافة إلى غياب وسيلة رقابة تمكن المتبرع من متابعة مسار وصول الدم للمرضى المستفيدين منه زيادة إلى الصورة التي يحملونها عن مراكز جمع التبرعات بداية من الاستقبال، الإنتظار، غياب التوجيه وغيرها من العوامل التي لا يسعنا التطرق إليها كون هذه الفئة غير مقصودة في تحليل الموضوع .

بالنسبة لديهم التبرع عند الطلب من أهم الأسباب التي تجعلهم يقصدون المركز فمن دون طلب مباشر لم يفكروا قبلا بالتبرع. لنستخلص في الأخير أن الفئة التي تعكس الفعل بذاته هي فئة المتبرعين الشبه دائمين كون ممارستهم لا تندرج ضمن الحلقة المغلقة للتبرع العائلي لاكتسابه صيغة الواجب أو الظرفين لعدم الاستمرارية في القيام بالفعل.

يشمل التبرع الشبه المنتظم علاقات متوسعة أكثر و خلال فترات زمن في المتناول و عدم التقييد بوقت معين، هذا ما يؤهله أن يكون فاعلا اجتماعيا لا يخضع لعلاقة ملزمة سواء كانت عائلية أو حتى إدارية. وقد شملت عينتنا النهائية على **12** شخصا تم إجراء مقابلات متكررة معهم سواء في المركز أو أماكن أخرى كالمنزل أو مكان العمل سعيا للحصول على معطيات أعمق[1].

عينة البحث تراوحت بين **07** من الذكور و **05** من الإناث، ولعدم وجود سبب موحد للتبرع لدى كل مبحوث لذلك عمدنا إلى هذا العدد، وقد اختلفوا من حيث أسباب تبرعهم بين عوامل ذاتية وأسباب موضوعية كان لها التأثير الواضح على ممارستهم.

[1] **ملاحظة**: تمكنت من الدخول إلى قاعة الاقتطاع بعد أن تفاوضت مع البروفسور المشرف على المركز مقابل الحصول على نسخة من العمل .حيث أن إدارة المركز قد كلفت بتحقيق يتمثل في عملية سبر الآراء حول التبرع بالدم بصورة عامة لكن مشروع البحث بقي دون إنجاز.

2- تحليل المحتوى:

إستفينا في بداية تحليل الخطابات التي وردت على لسان المبحوثين بالتعرض إلى إبراز الشبكات الاجتماعية المختلفة التي مثلت الظرف الطارئ الذي استلزم التبرع بالدم.
بعدها التحول من ظرف طارئ إلى ممارسة، إذ أنه بالتعرف على نوع الرابط و العلاقة السببية من وراء التبرع الذي انعكس على هؤلاء ليستمر و يتحول إلى ممارسة.

و بالإعتماد بالدرجة الأولى على الفصل بين الدافع الضمني و بين الدافع الباطني بالرجوع إلى النتائج الأولية، فقد رأينا أنه قد بإمكاننا أن نشرح سلوكهم الماضي و الحاضر مع الربط ببعض الأحداث الخاصة بمحيطهم الأسري و المحيط الاجتماعي الخارجي الذي يتصل مباشرة بالأسباب الواقعية للفعل، وقد يمكننا من أن نؤسس كذلك التوقعات الخاصة بتبرعاتهم المستقبلية.

و يجدر بنا أن ننبه إلى أننا استقينا الخطابات "بالدارجة الجزائرية"، ولكن بهدف تسهيل مهمة القراءة على القارئ، قمنا بعرضها " باللغة العربية الفصحى"، فقد حرصنا خلال عملية الترجمة اللغوية على حفظ المعاني من العمل الأصلي دون المساس بمحتوى الخطابات ، والتحفظ قدر الإمكان في التصرف بالنصوص .

الفصل الثاني:

الظروف التي أدتْ إلى التبرع لأول مرة

لم تختلف أسباب التبرع عند المتبرعين الشبه منتظمين في أول تبرع لهم عن أسباب التبرع لدى المتبرعين المناسبتين نزولا لطلب من محيطهم الاجتماعي، أو المتبرعين لفائدة أحد المقربين من العائلة، لكن الاختلاف يكمن في مواظبة هذه الفئة على التبرع بالرجوع إلى الدوافع الخاصة لكل واحد منهم و التي تساهم بطريقة مباشرة في انتظامهم على هذه العملية.

ستتطرق في البداية إلى المناسبة الأولى التي دفعت هؤلاء الأشخاص إلى خوض التجربة و فيما بعدها التعرف على المناسبات التي توالت بعد التبرع لأول مرة ثم التعرف على الدوافع وراء الانتظام على التبرع.

1- التبرع بالدم ضمن الإطار العائلي:

خلال تتبعنا لمسار التبرع بالدم عند المتبرعين في ممارستهم، وجدنا أنّ البعض منهم اقترن أول تبرع لهم بظرف الخاص بحدوث حالة مرضية على مستوى العائلة و الذي استدعى التبرع مرة أو لعدة مرات. التبرع بالدم لم يخلو من تأثير العامل الأسري الذي له دور مركزي في اتخاذ التبرع كممارسة.

الحاجة إلى الدم لشخص من العائلة ظرف سبق و تعايش معه بعض المبحوثين و إن اختلف فيما بينهم؛ إلاّ أنه كان السبب في اجتياز التجربة أول مرة بنوع من العاطفة الإلزامية لتشكل بعد ذلك الدافع إلى الاستمرار و الانتقال من المتبرع تحت دافع الواجب الإلزامي إلى سلوك دوري و لا يخص محيطه الاجتماعي فقط.

1-2الحوادث العائلية كنقطة بداية لبعض مسارات المتبرعين:

يعتبر المتبرعون من أفراد العينة أن للعامل المتمثل في القرابة العائلية التي كانت المناسبة و الحافز الأول للتبرع مرة أو للتبرع عدة مرات. في بعض المسارات؛ المكروه الذي يحصل في العائلة أو ذو الصلة بها يمكن أن تكون المرجعية الأساسية لذلك. قوة هذا الرابط يبرز من خلال صورالإلتحام عند حدوث طارئ في العائلة أو الأسرة، من أجل ذلك مثلت العائلة دائما نموذجا عن الأخلاق الجماعية [2] ، و كما أسماها " **Durkheim** " **" روح العائلة هي من نواة الروح الاجتماعية ".**

يقول السيد يوسف (**45** سنة)**:** ***" ...أول تبرع لي كان لفائدة والدي الذي كان بحاجة لتوفير الدم ليجري عملية في القلب..عانى مدة طويلة من انسداد في الشرايين و بعد المعالجة بالأدوية التي لم تجدي نفعا لجأنا إلى العملية في آخر المطاف ..طلبوا منا بالمستشفى أن نوفر الدم و الحمد لله و قد أمددناه بما يلزم من عدة أشخاص من العائلة و المقربين قبل دخوله لقاعة الجراحة، فقد هيأنا أنفسنا و زودنا المصلحة بالكمية اللازمة لعملية والدي ..."***.

تقول الأنسة خيرة (**40** سنة) ***"...بداية التبرع كانت عندما أصيبت ابنة أختي بمرض خبيث الذي كان على شكل ورم بالغدة الدرقية أجريت لها عملية احتاجت فيها إلى الدم، فتبرعت لها خلال فترة مرضها منعت من تناول الطعام بصورة طبيعية كانت تتغذى بالسيروم. و بعد فترة بدأت في تناول الطعام لكن بشهية قليلة فأصيبت بفقر الدم، فكّنا نزودها بالدم...عانت كثيرا رغم صغر سنها (23 سنة) و أمام أعيننا، لم يتركنا لا المقربون و لا حتى الأشخاص الذين لا نعرفهم، وجدنا من يمدنا حتى لو لم نحتاج في ذلك الوقت... و عندما شفيت عرفت معنى المرض و المعاناة و منذ ذلك الحين و أنا تقريبا مواظبة على التبرع كمتطوعة..."***

[2]Cité par Pangam , S ; (2006) « Pensé la solidarité, l'apport des sciences sociales», France , Edition Lien Social , p.07 .

يقول عبد الوحيد(**35** سنة) ***:" ...أول تبرع لي كان عام 2000 لأخي الذي يكبرني بسنة و النصف. فجعنا بمرضه و كنت أنا الأكثر من تأثر نظرا لقربه مني، أصيب بالسرطان فكانت الصدمة و لم يعني الأمر لنا إلا الموت... كنّا محاطين به، في كل مرة نزوده بالدم عندما يتطلّب الأمر، لقد كان لدينا الأمل في شفائه على الرّغم من معرفتنا المسبقة بحاله، نوفر له الصفائح رغم بعض الصعوبات ليس لعدم وجود أهل الخير و إنما لعدم توفر شروط التبرع بالصفائح لدى الأشخاص الذين كنّا نقصدهم... و بمرور الأشهر الثلاث الأولى كم كان مؤلما رؤيته في تلك الهيئة و أعراض السرطان قد استفحلت فيه، توفي بعد مدة ...تجربتي مع أخي تركت الأثر العميق فلم أتوقف عن التبرع كلمّا سمحت لي الظروف بذلك..."***

إذن ارتبط التبرع لدى هؤلاء المتبرعين الذين لم يكونوا كذلك إلا عندما حصلت حادثة مرض في العائلة ، خاصة إذا كان هذا المحرض خطير و مؤدي للموت وأيضا ذو صلة مباشرة بين هذا المرض و الدم ، التعايش ضمن هذه المعاناة الذي شكل لديهم أول بوادر خوض التجربة مرة أخرى ؛ إنه شكل للتضامن

«.. فصورة التضامن داخل الأسرة لا تشتمل فقط على الدعم الاقتصادي بمختلف أوجهه كتوارث الممتلكات، الإعانات المادية و الهبات المتبادلة داخلها، العائلة تتناقل كذلك ما هو رمزي. إن العائلة تشكل بمجملها نوع من الحماية التي تمارس على الأفراد طوال حياتهم، و الانتماء إلى الشبكة العائلية، و الشبكات الجوارية كالأصدقاء، جيران و أقارب تسمح بالتصدي ضد مشاكل اجتماعية أو عقبات اقتصادية. العائلة شكل من أشكال التضامن الابتدائي الناتج عن التنشئة الاجتماعية....»[3] مفهوم التضامن في هذا السياق يظهر لنا أنّه ملائم لعـــــملنا، فالمفهوم نفسه ينطبق على مجتمعنا .

[3]Martin, Ch ; (2002) « Solidarité familiales l'illusion de renouveau l'ouvrage collective : familles, permanence et métamorphoses » France ,édi sciences humaine, P. 106.

تجربة السيدة صليحة لا تشبه أسبابها عن ما سبقها لأن السبب يرجع في تبرعها إلى الاحتكاك المستمر مع حالة المرض في العائلة الذي ترك أثرا لديها، و ترددها المستمر على المستشفى عامل ساهم في خوضها للتجربة لأول مرة.

كما تقول السيدة صليحة **(39 سنة): *" ... أبنائي الثلاث في أكثر الأوقات يمرضون ، فالابن الأكبر يعاني كثيرا من أزمات صرع و الصغرى تعاني من فقر الدم لكن لا نلجأ في علاجها إلى عملية حقن دم و إنما بأدوية يصفها الطبيب و التي تزودها بعنصر الحديد كذلك أتبع لها نظام غذائي غني و الحمد لله زوجي ميسور الحال و نحاول جهدنا في علاجهم... و خلال ترددي على المستشفى و كنت قد سمعت نداءات عدة مرات عبر الراديو و قد تزامن مرة أنّني كنت بالمستشفى لفحص إبني لمحت المركز دخلت و تبرعت..."***

تقول السيدة ك **(35 سنة):*" ..خلال المرة الأولى التي قصدت المستشفى عندما مرض ابني "آدم" في البداية قرأت كلمة "الدم" ظنني أنه خاص بالتحاليل الطبية فقالوا لي أنه المركز الخاص "بالتبرع بالدم للمرضى " دخلت و أعطيت الدم سألت العاملين هناك عن هذه العملية فقدموا لي بعض الشروحات عن التبرع بالدم..."***

الظرف المتعلق كذلك بمرض الأبناء و التردد الكثير على المستشفى ساهم في خوض التجربة ، إذن تدخل العامل الأسري و كل الظروف التي تطرأ عليها هيأت المناخ المناسب للتبرع الذي كانوا يسمعون فقط عنه عبر وسائل الإخبارمن أهمها المذياع .

فمكانة **الرابطة الدموية** التي شرحها ابن خلدون بمفهوم العصبية حيث قال في ذلك « أن العصبية إنّما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه، و ذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل. ومن صلتها النّعرة على ذوي القربى و أهل الأرحام أن ينالهم همّ أو تصيبهم تهلكة فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه و يودّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المعا طب و المهالك نزعة طبيعية في البشر من كانوا.....»[4].

[4] مقدمة ابن خلدون: ـ بيروت ـ لبنان دار الكتب العلمية ص 102

إن هبة الدم داخل الحلقة العائلية بمعنى أن يكون المتلقي من الأشخاص الذي تربطه قرابة دموية مع المعطي تأخذ صيغة الواجب إلا أنها لا تعني أن المتبرعين يحتكرون الدم عن غير الأشخاص الذين لا يمتون إليهم بصلة قرابة دموية.

- حالات المرض، و التي قد ينجم عنها حتى فقدان أحد المقربين الحدث الذي قد يكون له الأثر النّفسي العميق الذي سيتحول إلى دافع قويّ يساهم أولا على تكرار التجربة المتعلقة بهبة الدم و من ثمة المواظبة و الاستمرار في عملية التبرع.

يرى **" Sahlins"** في الهبة كظاهرة منفردة في الإطار العائلي: **«...** بأنه و بصفة عامة كلما كان الرابط متقارب أكثر بين شخصين، أكثر ما يفقد الشيء المتداول شكل هبة، و يكسب الشيء المعطى أهمية و هذا ما يشرح أهمية الهبات في الرابط الأولية و بين المقربين...»[5].

[5] Cité par Godbout ,J « ce qui circule entre nous » op. cit. p.201.

2-بداية التبرع بالدم ضمن العلاقات الاجتماعية الجوارية:

و هناك من المتبرعين الذين بدأوا مسارهم نزولا عند طلب خاص بالتبرع بالدم من وسطهم الاجتماعي المقرب كالجيران و الأصدقاء.

يقول السيد محمد **(36 سنة)** ***"...أول مرة تبرعت فيها كان عمري 23 سنة لفائدة صديق لي كان يعاني من قصور كلوي وحاجته مستمرة للدم..حتى أنني كنت أبحث له عن متبرعين من أقاربي عندما لا أتمكن أنا من ذلك..."***

يقول السيد لخضر **(43 سنة)**"**..** ***تبرعت أول مرة في السنوات التسعينيات لأحد أصدقائي الذي أجريت له عملية جراحية و قد احتاج إلى وحدتين من الدم فكنت الشخص الثاني الذي تمكن من التبرع له.."***

هنا يتضح الرابط الصداقي الذي له مكانة لا يبتعد عن المكانة المنسوبة للرابط العائلي خاصة عندما يتعلق الأمر بالتلبية طلب "بالتبرع بالدم" الذي يشرك ضمنه المقربين بالصلة الدموية و كذلك الأشخاص الذين لا يمتون للمتبرعين بصلة قرابة دموية فعلية نظرا للدلالة الرمزية للفعل الذي يُستثنى منه هذا الجانب.

3-التبرع بالدم وتضمنه الشبكة الاجتماعية الثانوية:

و من المتبرعين الذين بدأوا تبرعهم بعد أن تلقوا طلبا مباشرة من قبل أشخاص لا يعرفونهم أو من خلال طلبات غير مباشرة أي لم توجه لهم بصورة خاصة كالنداءات التي تمر عبر وسائل الإعلام على رأسها الراديو و التلفزيون.

يقول السيد ميلود **(42 سنة)** :"***..كان سني 21 سنة عندما تبرعت أول مرة ، سنة 1988 كنّا جالسين أنا و أصدقائي في الشارع ، حضر إلينا شخص غريب يطلب المساعدة بالتبرع بالدم للأحد أهله بالمستشفى ..احتاجوا إلى فصيلة A^+، و بما أنني أجريت تحاليل في الخدمة العسكرية عرفت أنني أحمل نفس الفصيلة ذهبت معه إلى المستشفى الذي لم يكن بعيدا عنّا...وتبرعت له ..."***

تقول الأنسة ليلى(**24 سنة**) ***:"....أول تبرع لي كان عمري 20 سنة عندما سمعت نداءا عبر جهاز الراديو أن طفلا رضيعا حديث الولادة يحتاج إلى دم الزمرة السالبة، لم يتوفر في المركز دم خاصة زمرة O- حسب ما قاله أهل الرضيع عندما التقيت بهم ...سعدت لأنني تمكنّت من التبرع له ..."***

تضيف الآنسة سعاد (28 سنة)**: *" ..تبرعت أول مرة في سن الّ 20 تقريبا لا أذكر بدقة... خلال شهر رمضان كان التلفزيون الجزائري يبث نداءات بعد نشرة الثامنة ....اغتنمت الفرصة في أحد سهرات رمضان ذهبت إلى المركز و تبرعت كمتطوعة..."***

تلقي الطلب إلى التبرع مباشرة أمر فيه نوع من الإلزام الرمزي ؛ ولكن الطلبات التي تمر عبر وسائل أخرى و بالتجاوب معها هذا يعني أنها ذات نجاعة لأنها تعرض طلبات تمس فئة حساسة و كذلك الإكثار من هذه النداءات خلال فترات زمنية "كشهر رمضان" نظرا للوزن الديني للمناسبة من بين العوامل التي دعت هؤلاء الأشخاص إلى التبرع بالدم أول مرة.

4-الإنتقال من التبرع بالدم لأول مرة إلى توالي التبرعات:

خلال عملية التبرع بالدم أول مرة لفائدة العائلة أو الأسرة الأمر الذي يمثل الحدث الذي يوسع مجال الممارسة و ضمها لشبكات اجتماعية أخرى، و التي لها الدور كذلك في ترسيخها و خروجها من إطار محدّد، ليتجاوز التبرع بالدم سواء من المقربين و الأصدقاء إلى التبرع لأشخاص مجهولين ، بعد التبرع للأول مرة تنوعت شبكات تبرعاتهم، ولم تنحصر عند واحدة منها.

في هذه النقطة التنوع في التبرع بالدم و ضمه في ذات الوقت عند متبرع واحد لمختلف الشبكات يفرض نفسه؛ لأن المتبرعون يقصدون مركز حقن الدم بصورة شبه دورية و بما أن الحوادث الأسرية لا تحدث دائما فمنطقي أن تتجه تبرعاتهم إلى أشخاص مجهولين لأنهم ليسوا متبرعين عند الطلب فقط.

تقول الأنسة خيرة **(40 سنة)** ***:"...منذ حوالي 10سنوات و أنا أتبرع تقريبا كلّ 04 أشهر...وصلت مرة و تبرعت خلال 4 أشهر مرتين، الأولى لابنة أختي التي كانت بحاجة إلى الدم لعملية جراحية و الثانية كمتطوعة...أدرك أن ذلك ممنوع و قد أمرض، لكن لم يحدث لي أيّ شيء ومنذ ذلك و أنا أتبرع بصورة دورية....***

يقول السيد يوسف **(45سنة)** ***:"...بعد التبرع لوالدي تبرعت لابنة خالة أبي عندما ذهبت في زيارة لسيدي بلعباس و تزامنت هذه الزيارة مع ولادتها بعملية قيصرية و تبرعت لها ...منذ حينها و خلال مدة لا تتجاوز 5أشهر على الأكثر أقصد مركز حقن الدم... خلال شهر رمضان المنصرم بلغنا من المستشفى ونحن بالمسجد أن هناك حالة مستعجلة و بحاجة ماسة للدم فلم أتوانى و قصدت المركز مباشرة للتبرع...."***.

أما السيد عبد القادر **(36 سنة)** ***:"...بعد التبرع للأول مرة تبرعت أكثر من 10 مرات خاصة عندما دخلت للعمل بالمذبحة آكل اللحم تقريبا كلَّ يوم و يمكنني أن أواظب على التبرع ...بين فترة و أخرى أقصد المكان من تلقاء نفسي و أطلب من الأشخاص الذين هم بحاجة لمتبرع للمرضى من ذويهم ربما سيأتي يوم و أحتاج أنا إلى الدم أو إلى أي شيء آخر ...."***.

صورة الإرجاع الرمزية التي تبناها المتبرعون تتعلق بتأثرهم بالحوادث التي شهدوها و التي، ولدت لديهم الرّغبة في الاستمرار، كذلك السيد لخضر تنوعت تبرعاته بين عائلية و تبرعات لأشخاص غرباء عنه.

يقول ***:"...في نفس السنة التي تبرعت فيها لصديقي تبرعت بعدها لسيدة ذات 55 عاما التي كانت مريضة بفقر دم كانت حاجتها كبيرة إلى الدم اتصلوا بنا بعض الأصدقاء و ذهبنا 04 أشخاص إلى مستشفى تلمسان أين كانت تعالج ...وفي 1998 تبرعت لأبن خال زوجتي الذي كان يعاني من مرض القلب و قد أدخل على جناح السرعة إلى غرفة العمليات و كان ذلك في شهر رمضان ، كنّا 17 شخصا حضروا للتبرع و كنت من بين القلائل الذين تمكنوا من التبرع له فمنهم من الذين لم يتمكن من التبرع لأسباب صحية ...***

...ومع سنة 2000 تبرعت كذلك بمستشفى تلمسان لشيخ لديه قصور كلوي قادني إليه أحد معارفي و تمكنت من التبرع له ...حتى 2008 قصدت مستشفى سبدو بعدما سمعت نداء على الراديو لرجل يحتاج إلى الدم ذهبت و سألت عنه و تبرعت له و قد سمع النداء الكثير من الأشخاص و قد أتوا للتبرع لذات الشخص و بفضل ذلك النداء استفاد العديد من المرضى من الدم الذي تبرع به الأشخاص الذين حضروا ..و في نفس السنة تبرعت لابن عمي الذي أجرى عملية استئصال المعي و كان عدد المتبرعين الحاضرين من العائلة كافيا فتبرعت للمركز لأي شخص كان ..."

أن يكون المستفيد من الدم المتبرع به من قبل شخص آخر يتبرع به أحد أقاربك، و باختلاف الدافع ديني كان أم بدافع العرفان للغير، فيه نوع من الإجبارية الرمزية أن تتبرع هو كأن ترجع ما قدم لك بطريقة ما. هنا ما ورد عن " **Mauss** " بهذا الصّدد: «... القوة الموجودة في الشيء الذي نقدمه هو في الأصل قد قدم لنا »[6]

التبرع بالدم هو واجب غير إلزامي و إرجاعه بنفس صورة التلقي لا تعني إجبارية إرجاعه بالمفهوم **Mauss**، أي أن المتبرع لا يرجع الدم للشخص الذي تبرع له أو لأحد مقربيه.

بين الدفع الذاتي و الأسباب الموضوعية للتبرع التي سنتطرق إليها، حيث تشمل هذا الأخير التّأثر بمسارات و تجارب ذاتية إلى جانب ذلك الغاية النفعية النّاتجة عنه .

تقول ليلى :**"... أنا أتبرع اليوم فربما سيأتي يوم و أحتاج أنا بدوري أو أحد أبنائي سيحتاج إلى الدم أو غير الدم..."**

[6] Mauss,M ; « Essai sur le don. forme de l'échange dans les société archaïques » in sociologie et anthropologie, op. cit. p.254.

كذلك الأمر الذي يبدو خلال أي مسار متبرع هناك مزيج بين تبرع توجه للأسرة ليتواصل بعد ذلك و تشمل مختلف الأشخاص دون تمييز. ومفهوم العصبية هنا يبدو ضعيفا والعنصر الرابط بين المتبرعين و المستفيدين لا يشترط قرابة دموية فعلية، لكنها علاقة رمزية بفعل إمكانية تداول السائل الحيوي بين الأشخاص مهما كان انتمائهم الإجتماعي.

إن نمط الرابط الاجتماعي الذي ميّزناه من خلال استعراض بعض الدوافع من وراء التبرع يشير إلى أن التضامن ميكانيكي في المجتمع الذي يظهر من خلال تلبية المتبرع للطـــــلب لكن مع بروز بوادر النفعية من وراء الفعل ، فإن ذلك يشير إلى تنامي الروح الفردية ما يفتح المجال لبروز تضامن عضوي شيئا فشيئا.

الفصل الثالث:

التبرع بالدم كتصور اجتماعي

حظي سائل الدم منذ القدم بمكانة مركزية لدى مختلف الشعوب، الميزة التي أهلته أن يكون موضوع تفكير في نظام المعاني الإنسانية و ممارسة، إذ هناك التي جعلت منه غذاء محظور، ومنها التي تناولته كقربان يقدم خلال طقوس متصلة بما هو ورائي. إضافة إلى أنه اعتبر و لا يزال يعتبر إلى يومنا هذا مادة حيوية يستغل في ممارسات طبية و علاجية.

تبعا إلى هذه الرؤية و نظرا إلى الأهمية المعطاة لهذا السائل الحيوي و لسياقه الأنثروبولوجي اتخاذنا من التصورات الاجتماعية كإطار تحليلي للموضوع[7].

1-الدم سائل يرمز الى الحياة:

لقد تم فيما سبق تحديد المستويات الثلاث التي يمكن أن ندرج في خضمّها عملية التبرع بالدم. ضمن المستوى الأول الذي يجمع بين دخول الجسد الفيزيائي في تجربة ذات علاقة مشحونة بالرمزية، إذ أنه حامل لدلالات خاصة بالحياة ذاتها، وكذا المساهمة في استمرارها حين التبرع به «...الدم يمثل إذن تكافؤ رمزي متناقض بشدة إذ أنه يرمز في ذات الوقت إلى الحياة و الموت و هناك مسلمة شعبية تقول:" أن الحياة تذهب مع الدم الذي يسيل" و من هنا تبرز الميزة الحيوية و المقدسة المنسوبة لهذا السائل إن الخسارة المعتبرة الخارجة منه يمكن أن تؤدي إلى الوفاة مثل تلك الناتجة عن خروجه بسبب أسلحة ، على إثر نزيف عند الولادة كان وراء هذا القياس الرمزي بين الدم و الحياة الذي يظهر كثابت من الثوابت الثقافة »[8] .

[7] أنظر الإطار النظري.

[8] Grassineau,D ; « Au fil du sang» op.cit p .99.

و من خلال استجواباتنا برزت العلاقة جليّا، حيث أن معظم الأشخاص من أفراد العينة قد أقروا أن التبرع بالدم مساهمة في الإبقاء على حياة إنسان.[9] إضافة على البعد **"الفيزيولوجي للدم"** كونه سائل حيوي مصنعه جسم الإنسان فإنه كذلك مقترن بأهمية بالغة في بعثه للحياة لذلك يمكن اعتباره من المقدسات ، وحين تناقله من شخص إلى آخر هو إبقاء على الحياة الإنسانية.

يقول السيد لخضر ***:" ... الدم يعني الحياة ، استدعيت مرة من طرف أحد الأصدقاء و قد طلب مني إذا كان بإمكاني أن أذهب إلى المستشفى للتبرع لشخص بحاجة للدم لأنه كان هناك احتمال أن يحدث له نزيف داخلي و قد يفقد حياته خلال العملية الجراحية ...ذهبت أنا و بعض الأصدقاء في حالة إذا ما احتاجوا إلى كميات دم أكبر و تبرعت أنا و أصدقائي... ".***

يقول السيد ميلود ***:"...لو أن النّاس يرون ما أراه كل يوم سيفهمون أن الدم هو إمداد للحياة، لأنني أرى الأطفال المرضى بالسرطان هنا بالمستشفى و أمام عيني يصارعون الموت بسبب نقص إمدادهم بالدم، توفير الأدوية كذلك فهي غالية الثمن كما يحكي لي أولياء الأطفال...حتى لو هم محكوم عليهم بالموت لا محال...و أمددناهم بالدم الكافي فلن يعيشوا، لكن بوسعنا أن نطيل من عمرهم قليلا و ننقص من معاناتهم عندما تبدأ أجسامهم تشكو من تقدم المرض و ما هو بوسعنا فعله هو التبرع لهم بالدم..." .***

إن مفهوم الحياة هو أول ما يقدمه المتبرع بالدم في رؤيته للسائل، و التضحية به في سبيل الحفاظ على حياة الغير حافز ذاتي مشبّع بروح المسؤولية اتجاه الآخرين. ما يلفت الإنتباه هو تركيز المبحوثين من الوهلة الأولى على هذه الخاصية التي يجمع عليها كل البشر لكنها غير كافية بتقديم**" التبرير الحيوي"** كدافع للتبرع بالدم بصورة دورية.

[9] يستفيد من تبرع شخص واحد حتى ثلاثة أشخاص من الذين يحتاجون إلى الدم.

إذ أن معرفتنا بأن الدم هو الباعث لحياة الآخرين غير كفيل لتفسير التبرع بالدم بصورة شبه منتظمة عند البعض (من الذين اخترناهم عينة في بحثنا هذا) أو حتى عند أولئك الذين يقومون بهذه العملية بصفة ظرفية (عند مناسبة معينة كالحملات التطوعية أو نزولا عند طلب).

المتبرع حين يقدم من ذاته فهو بذلك يشكل رابطا روحيّا أكثر من رؤيته له سائل يستعمل لأغراض علاجية و الإستنجاد لنداء الغير، فلو اقتنعنا بهذا الجواب فلماذا إذن تعاني المستشفيات من نقص الإمداد من هذه المادة الحيوية؟؟

2- تأثير الدافع الديني:

في المجتمع الجزائري[10] وربما كل المجتمعات التي تعتنق الدين الإسلامي، يشكل هذا الدافع تأثيرا قويّا على نظام المعاني لدى الأشخاص خاصة فيما يتعلّق **"بالعطاء"** فقد لاحظنا أنه حاضر بشدة كما تبين من تحليل خطابات المتبرعين ولأن خاصية الحياة و الموت شديدة الإقتران بما هو ورائي، إذ أن الرابط الروحي الذي يناشده المتبرع يكون من بين الأسباب التي تقوده إلى القيام بالفعل. فظهرت دوافعهم تطغى عليها خاصية التأثر و الإنحياز إلى تقديم التبرير الديني.

[10] خلال تحقيق ميداني أجراه مركز حقن الدم بفرنسا سنة2002 ، تحت عنوان:**" أخلاقيات، دوافع المتبرعين بالبلازما"** حيث كان تأثير الدافع الديني على التبرع ضئيل جدا مقارنة بالدافع التضامني مع الآخرين الذي مثل الأولوية إلى جانبه الرغبة في إنقاذ حياة إنسان.

يقول السيد لخضر ***:" ...عندما نعطي من الدم فذلك يريح و يشعر بالسعادة. التبرع بالدم صدقة جارية في العديد من المرات أكثرها في خطبة الجمعة دعانا الإمام للذهاب إلى مركز حقن الدم بهدف التبرع...خلال الخطبة يحاول الإمام إقناع المواطنين بأهمية التبرع مستدلا بآيات قرآنية و أحاديث شريفة..و نظرا لقرب المسجد من المستشفى ما إن تصل الطلبات إلى الأمام و في أي وقت كان من أوقات الصلاة من قبل أهالي المرضى سهل عليهم الحصول على الدم من طرف الأشخاص الذين يرافقونهم إلى المركز...."***

يضيف في ذات السياق السيد يوسف ***:" ..خلال رمضان الماضي ، بعد أن فرغنا من صلاة التراويح دعا الأمام المصلين التوجه إلى مركز حقن الدم ...ضربت عصفورين بحجر واحد ..ذهبت مباشرة و تبرعت، كنت قلقا بشأن ضغطي الدموي خشيت أن يكون منخفضا و لا يسمحوا لي بالتبرع لكن الحمد لله كان مستقرا و ملائما للتبرع...حينها قال لنا العاملون في تلك الليلة أنه في شهر رمضان قليل ما يأتي متبرعون من تلقاء أنفسهم ، لذلك نتوجه للمساجد خاصة مسجد "المدينة الجديدة"و مسجد "الهدايا" و نطلب من الناس أن يأتوا إلى هنا حتى نتمكن من تغطية النقص من كميات الدم في بنوك الدم حيث الذي يدخل إليها من تبرعات أغلبها عائلية لا تغطي الحاجة.."***

التبرير الديني الذي يدرجه المتبرع عامل يفرض نفسه فرضا غير قصري. حيث أن صورة الإلزام الغير قصريه تتضح من خلال مرجعية لفظية ذات دلالات رمزية، يستعين المتبرعون بالوسط الرمزي لتبرير الفعل حسب مسار كل مبحوث . كما رأى **"Weber"** عن الفئة التي تخوض تجربة ذات دوافع دينية وتحميل الفعل تصورات مشحونة بالرمزية، حيث يقول في لك :«..أن كل فئة اجتماعية هي بحاجة إلى بناء في لغتهم و في نظام قيمهم، صورة ل:« فضاء مجهز بالمعاني الإنسانية تعبّرها بأمثلة تصور لنا عمومية هذه الحاجة الرمزية. في هذه السلسلة المليئة بالعقلانية الدينية و اللاهوتية أو الفكرية: كلّها تجمع بالنتيجة بدمجها ضمن نظام قابل للتفكير و العيش في العالم الطبيعي أو الاجتماعي...»[11].

[11] Cité par J. pierre Grossin, (1996) « Sociologie des religions» Paris, Edition Gallimard, P.36.

هذه الألفاظ المرجعية تحوي في مضمونها تدخل و تأثير سلطة الدين والوساطة الدينية* التي يمثلها الإمام و التي يصعب تجاوزها أو تجاهلها "كالصدقة الجارية " الإستدلال القرآني ومن السنة في وسط رمزي و هو المسجد و بتدخل الإمام يجده بعض المتبرعين تبريرا لإقبالهم على التبرع.

التبرع بالدم كتجربة ذات بعد ديني، هذه الأخيرة تتواصل مع مؤسسات مختلفة أبرزها ذات الصلة المباشرة بالدين "كالمسجد" الذي هو بمثابة الرقيب و الموجه الاجتماعي، له الدور الواضح في استمالة المتبرعين و تشجيعهم على الاستمرار.

الإمام[12] كعالم في الدين وامتلاكه لسلطة التي تعطيه صلاحية تمكنه من أن يؤدي دور تعليم الناس و إرشادهم، و بالنظر إلى قدرته على الإقناع الكبيرة والتي تظهر جليّا، باعتباره المقصد الأول للمركز؛ هو أول من يلجئون إليه عندما ينقص عدد المتبرعين، حيث يتقدمون إلى أئمة المساجد خاصة القريبة منها كمسجد "الهدايا"و مسجد "المدينة الجديدة"، وثانيا ذهاب المصلين بعد الصلاة إلى المركز مباشرة فهذا يعني أن الدور يظهر فعلا مجسدا. هو بمثابة تذكير لهم في لهجة ذات دلالات رمزية تحمل رسائل خاصة بتوبيخ الضمير و لأن الإمام يتمتع بسلطة فعالة بإمكانه أن يجعل الناس يشعرون أكثر بواجبهم الديني حيال الآخرين و الذي يسمو "بالعطاء".

بالإضافة إلى أن شدّة الوقع، ووزن التأثير الديني من حيث الدلالة ذو نجاعة. وما يثبت ذلك إلى عدم نجاح أية عملية استدراج أفراد المجتمع و تشجيعهم على التبرع، إذا لم تكن مساهمة من قبل المؤسسة الدينية من خلال الحملات التحسيس و التوعية، فهي لا تلقى استجابة

[12] ملاحظة : الهدف من إسناد مفهوم **"الوساطة إلى الإمام"** ؛ هو لتوضيح الدور الرئيسي الذي يمثله في التحسيس و إبراز الغاية القيّمة من التبرع بالدم.

واسعة من دون إدراج هذه الوساطة أو إستعمال حجج إقناعية في ذات السياق من قبل المسؤولين من عاملين في القطاع الصحي عند توجيههم دعوات للتبرع.

فقد أثبتت هذه التجربة من خلال الملاحظة التي أجريناها في اليوم الدراسي الذي نُظم يوم 10 ماي سنة 2009 بجامعة **" محمد بوضياف"** للعلوم و التكنولوجيا بوهران **حول التبرع بالدم بصورة منتظمة**، وذلك بالتعاون مع مركز حقن الدم الخاص بالمركز الإستشفائي أول نوفمبر بوهران و جمعية **"صناعة الحياة"**.

كان الهدف من هذا اليوم هو توعية و تسجيل الطلبة الذين يدرسون في ذات الجامعة (والتي لا يبعد كثيرا عن المستشفى)، ضمن قوائم خاصة بالتبرع بالدم بصورة منتظمة ضمن ما أسموه بمشروع **"وريد"** تحت شعار **"بنوك دم لا تفرغ".**

و قد بدأ اليوم الدراسي بشرح معنى الفعل و التذكير بأخلاقياته و كذلك تعرض الطاقم الطبي الذي نظم هذا اليوم إلى مختلف النقاط الخاصة بخطوات التوجه إلى التبرع كونه سلوك ذو فائدة صحية على المتبرع و كذا ألحّوا على إبراز فئة الأشخاص المرضى و الذين هم بحاجة ماسة إلى هذه المادة الحيوية. استعملوا خلال عرضهم تقنيات ووسائل كالروبرتاج و ملصقات ذات دلالات تبرز الخاصية الحيوية للسائل، و لم تخلو خطابات و شروح الطاقم المشرف من أطباء و ممرضين من السلك الشبه الطبي كونهم المتعاملين المباشرين بالمتبرعين على اعتماد الخطاب الديني الذي طغى في مجمل التوجيهات مستدلين بالدرجة الأولى في ذلك على آيات من الذكر الحكيم تتمحور مدلولاتها على الأجر و الثواب الذي سيجنيه المتبرع بالدم.

الأمر الذي ساهم كثيرا في توافد الطلبة على تسجيل أنفسهم ضمن تلك القوائم و ترك أرقام هواتفهم ليتصل بهم المركز و تذكيرهم بمواعيد التبرع كل ثلاث أو أربعة أشهر.

الدين كنظام لإنتاج المعاني و الإسلام به من الخطابات التي تحثّ على العطاء الأمر الذي يشجع المراكز و الجمعيات و المؤسسة الدينية التي تتمثل في المساجد ، و لأنه النظام المهيمن على تصورات الأشخاص لذلك أول ما يقدمه المتبرعون كدافع على التبرع، إلى أن هذا المعنى ضمني لأن الدين غير كافي نظرا لوجود معاني أخرى و إن لم تستثني كليّا هذا العامل كما سنرى فيما يأتي.

3-التبرع بالدم تضحية رمزية مرتبطة بالأجرالمعنوي وممارسة لغاية دنيوية :

3-1-إقتران التبرع بالدم مع بعض مراحل حياة المتبرعين:

ضمن ما جاء في خطابات بعض المتبرعين؛ إذ أنهم يرون في التبرع بالدم تجربة ذات أبعاد دينية و الجاذب إلى ذلك عدة عوامل منها الجانب التصوري و المعاني الروحية ، الرمزية للفعل. التبرع على أنه **"إمتنان"** يتضح مع الإنعكاس الإيجابي الذي قد ينجرّ عنه على حياتهم اليومية و في ذات الوقت ينقلون تطلعاتهم إلى غايات أكبر، دينية كانت أو دنيوية.

يقول السيد ميلود:**"...التبرع بالدم هو زكاة للنفس[13] و لوجه الله لسنا من الأغنياء لنتمكن من التصدق بالمال و لأن الله سترها عليّ و نحن بصحة جيدة لماذا لا أتبرع؟ من يفعل الخير يجده خاصة أنه في حياتنا تمر علينا بعض الظروف الصعبة ...لكن من يفعل الخير سوف يعود عليه كما قلت و لا يضيع الأجر...في فترة مضت وصلت أنا و زوجتي حتى طردنا من منزل أهلي لأن أخواتي لم يتفقن مع زوجتي و أمام عيني يظلمونها كثيرا و تراكمت المشاكل بعد أن أنجبنا طفلنا الأول ..خرجت من بيت أهلي و ذهبت و سكنت في البداية بمكان متواضع "براس العين" ،بعدها تمكنت من كراء منزل بحي اللوز و الحمد لله كل شيء يصلني إلى منزلي و لا يخصني شيء من قبل أهل زوجتي لأنني لم أخضع لأوامر والدي بأن أطلق زوجتي فشكروا لي أهلها ذلك كثيرا...لم أشأ أن أعصي لكن لا أستطيع أن أفعل ذاك من غير سبب مقنع ...و ما أنا فيه الآن و الحمد لله هو ربما جزاء ما تبرعت به من دم للأطفال هنا بالمستشفى ، فلولا ذلك لما تيسرت أموري ، التبرع بالدم كالصدقة الجارية تبقى تخدمك ما دمت حيّا و يكافئك الله عليها في آخرتك بعد موتك...و أحاول قدر المستطاع أن أتبرع و اذا تعذر عليّ ذلك أي سبب أبحث عن متبرعين خاصة عندما أرى دموع الحسرة على وجوه أهل الطفل المريض لا أستطيع التحمل..."**.

---

[13] الزكاة: (ج) زكأ وزكوات: ما تقدمه من مالك لتطهره به والزكاة بمعنى الصدقة كذلك الطهارة وصفوة الشيء. والزّكيّ : الطّاهر من الذنوب؛ من قاموس المنجد في اللغة والأعلام 1982 ، طبعة جديدة ومنقحة دار المشرق بيروت ص 303.

- النّفس هي عكس الروح؛ إذ النّفس الإنسانية التي يعتبرها الكثير من العلماء المسؤولة عن أفعال البشر و النفس ازدواجية بين الروح و الجسد، إما أن تتبع الروح أو تنساق وراء أهواء الجسد و بذلك ترتكب الذنوب وتقع في المعاصي. عند التزكية منها أي إخراج من الجسد فأنها تتطهر و تتخلص من تلك الذنوب.

استعمل هذا المتبرع عبارة**"زكاة النفس"** أي أن النفس الإنسانية لها إمكانية في الإخراج منها بمعنى أن تتبرع بالدم هو أن تخرج شيء من ذاتك (**un don de soi**)، و يقترن هذا الفعل بصلة وثيقة بمفهوم **"الأجر".** هذا المفهوم الذي يحتمل ازدواجية بين ما هو مادي و ما هو معنويا.

بوادر هذا الفعل يتضح من خلال ما يعيشه المتبرع في حياته و ما يجتازه من تجارب هي التي تساهم في سعي المتبرع بالدم إلى تقوية هذا الرابط الروحي عن طريق الاستمرار فيه و كذلك دعوة الآخرين إلى المساهمة في القيام بالفعل ؛ لأنه كلما كان السّعي أكثر كان الأجر في ذلك أكبر.

أما السيد عبد القادر (36 سنة) ***:"...توقفت عن الدراسة في السنة السادسة ابتدائي عندما رسبت ..كان والدي قد توفي رحمه الله، رأيت لأنه لابد أن أترك الدراسة و أبحث عن عمل ...عملت في الكثير من الأمور أولها بعت السجائر..كذلك في ورشات البناء و تعلمت اللّحامة ، لكن لم أجد عملا دائما كنت في أغلب الوقت بطال و عانيت من عدة صعوبات... لكن بعد مدة و بوساطة من أصدقائي تمكنت من الدخول للعمل "بمذبحة" ...عندما بدأت التبرع كان عمري 24 سنة، لابنة جارنا كانت مصابة بالسرطان..حتى أنني قصدت أصدقائي هم كذلك تبرعوا لها، لكنها لم تعش طويلاً وتوفيت...بعدها تبرعت أكثر من 10 مرات خاصة عندما دخلت للعمل بالمذبحة حياتي تحسنت...بين فترة و أخرى أقصد المكان من تلقاء نفسي و أتبرع...."*** .

تقول المتبرعة خيرة (40 سنة) ***:"...في عدة فترات من حياتي شعرت بالضيق من كثرة المشاكل العائلية فأنا لم أتابع دراستي و لم أتزوج رأيت حينها في التبرع بالدم راحة ...الحمد للّه أنا الآن أعمل في صالون الحلاقة و أعيل عائلتي...وصلت مرة و تبرعت في 4 أشهر مرتين، الأولى لابنة أختي التي كانت بحاجة إلى الدم لعملية جراحية و الثانية كمتطوعة...أدرك أن ذلك ممنوع و يمكن أن أمرض، لكن لم يحدث لي أيّ شيء...."***

زيادة إلى تدخل العامل البسيكولوجي الخاص بالرغبة في التبرع بالنظر إلى اللذة و الانعكاس الإيجابي الذي يتركه التبرع بالدم في نفسية المتبرع يدخل العامل الموضوعي الذي هو بمثابة الدافع المحرك و المحفز على الاستمرار في الفعل و هو بدوره ينقسم إلى قسمين ؛ عامل موضوعي ذو الصلة بالرابط الروحي الذي ينحاز إليه المتبرع كتبرير من الوهلة الأولى و مع انغماسه في سرد الوقائع الخاصة بحياته اليومية استنتجنا أن المتبرع بالدم ينتظر من وراء ممارسته عائدا ، يتعلق الأمر بعائد مادي و عائد غير مادي .

العائد المادي يندرج ضمن رجاء ورغبة المتبرع في الاستفادة بطريقة غير مباشرة ذلك بتشكيل روابط مع الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه ، و أمله في توسيع حظوظه من عدة جوانب و التي تتصل بالحاجة المادية؛ كخلق فرص العمل، الأمل في الزواج، تحسين الأوضاع المعيشية و الاستفادة من خدمات إلى غير ذلك من الأمور قد حصل عليها أو منها التي يرجوها.

هذه الدوافع النفعية تتماشى مع السعي إلى الحصول على فائدة روحية التي هي ناتجة من فعل "التبرع " هو ينتظر عائدا أكثر قيمة و المتمثل في **" الخيرات الإلهية"** كما أسماها **" Des biens de salut " "Weber "**[14]

[14] Weber ,F ;(2001) « Max Weber »,France ,Edition HACHETTE supérieur, p.35.

ومن بين الحالات بالرغم من عدم ذكر كلمة **" أجر"** إلا أن المزايا الخاصة به تظهر من وراء الألفاظ و العبارات التي استعملتها السيدة (ك)[15] و التي كان الغرض منها توضيح الغاية من التبرع بالدم .

تقول السيدة ك* (35 سنة): ***"...منذ أن تطلقت من زوجي الذي تمكنت من الهرب منه بصعوبة و التوجه إلى مركز الشرطة مررت بالطبيب الشرعي وحصلت على شهادة طبية تثبت الاعتداء الجسدي و كذلك صور فوتغرافيا لأتوجه بها إلى المحكمة و بعد فترة حصلت على الطلاق..في البداية توجهت إلى منزل أهلي" بمستغانم" لكن رفضوا إعالتي أنا و أولادي الثلاث و تركت الرابع عند أبيه لم أستطع التخلي عنهم لأنه كان سيحرم بنتاي من التعلم و الذهاب إلى المدرسة هذا في الأصل سبب الطلاق..لم أجد حل سوى استعارة المال من أخواتي و الذهاب إلى ولاية وهران ...تقريبا كنت شبه متشردة بأولادي..بقيت لدى عائلة بسيدي البشير مدة 06 أشهر في تلك الفترة بحثت طويلا عن عمل لكن دون جدوى و في ذات الفترة حصلت على مؤخر الطلاق، المال الذي مكنني من شراء هذا البيت (بيت في حي فوضوي بضاحية السانية...بعدها عملت لفترة قاربت السنة بمعمل الجبن ...ثم في مؤسسات خاصة كعاملة نظافة ثم توقفت بسبب التحرش بي، زيادة إلى أن طليقي لم يكن يبعث لي تلك النفقة "الحقيرة" بانتظام..لكن الله لا يترك أحد عندما أتيت إلى هنا ووضعت رجلي في هذا المكان أدركت أن الحياة ستكون صعبة خاصة و أنا غريبة و لا أعرف أحد و لا يأتي إلي أحد من أهلي..خلال المرة الأولى التي قصدت المستشفى عندما مرض ابني "آدم" لمحت المركز دخلته و سألت عن المركز، ظننت في البداية عندما قرأت كلمة "الدم" ظنني أنه خاص بالتحاليل فقالوا لي أنه المركز الخاص "بالتبرع بالدم للمرضى " دخلت أردت أن أخفف من همومي و أعطيت الدم ومنذ تلك المرة و أنا تقريبا أتبرع كل 04 أشهر..و قد سجلت نفسي ضمن قائمة العائلات المعوزة بالجمعية الخيرية بالسانية فعندما ألبي نداءات بعض الأشخاص الذين هم بحاجة إلى توفير الدم لذويهم كسبت ثقة المسؤولين في الجمعية و يمدونني بالمساعدات ...."***

15

رمزنا إلى هذه السيدة بحرف "ك" حفاظا منّا على بعض الخصوصية.كون هذه السيدة حالة استثنائية ضمن عينة بحثنا تبرز واقع و الوضعية التي قد تؤول إليها المرأة المطلقة في الجزائر.

تضيف السيدة (ك)**:"... أرتاح عندما أتبرع بالدم أنقص من معاناتي و كذلك أشكل علاقات أتأمل من خلالها أن أتلقى إعانات مادية أفضل من أسلك طريق الحرام و أبتلي بالمرض الخبيث"السيدا"..."**

تلجأ هذه السيدة إلى التبرع بالدم بصورة تقريبا منتظمة ؛ والتي اعتبرته كنوع من التعامل الرمزي و تأثيره على نمط حياتها كونه يشكل رادعا قويّا . هو بمثابة الوازع الديني.

هذا الوازع بحسبها ينقسم إلى قسمين: التخوف من العقاب المعنوي نتيجة "الزنا" ومن أكل المال الحرام الذي قد تذره منه، والتخوف من العقاب المادي الدنيوي و هو أن يلحقها مرض "السيدا" في حالة إذا ما مارست علاقات جنسية .

إذن التبرع بالدم بمثابة الصيانة النفسية و الجسدية لها و الاقتناع بالعيش من الصدقات ما هو إلا طلبا في حياة شريفة بالإضافة إلى الدافع النفعي الخاص باكتسابها أولا الثقة مع الذين تتعامل معهم بالجمعية و تشكيلها علاقات تعارفية كذلك مع العاملين بالمستشفى، هذه المنفعة المادية كافية لاستمرارها على التبرع هي علاقة أخذ و عطاء.

يدمج المتبرع ممارسته في خضمّ الظروف التي يعيش فيها و ما ينجم عنها هي التي تعطيه الدّفع للاستمرار، يمكن أن نقول أن التبرع بالدم علاقة تبادلية، عطاء ينتظر منه مقابل ، هي تضحية من الذات و التي تعود في الأخير إلى الذات .

التضحية كما رأى فيها **" Simmel"** «...أن التضحية نصف حاضرة في الحياة الثقافية والاجتماعية لدى الأفراد حيث أن: "... مصيرنا الطبيعي(...) ناتج كل يوم من استمرارية الربح والخسارة، من الفيض وعدمه ومن كل محتويات الحياة (..)...»[16].

[16] Cité par Papilloud,Ch (2002) « Le don de relation » G.Simmel - M.Mauss , France,2ème Edition L'Harmattan, P.75.

قد يكون وراء التبرع بالدم دافع ذو دلالات رمزية أخرى، هذا الأخير الذي يأخذ صيغة **"الدَّين"** أوما يسمى **"بالنّذر"**؛ يَعِدُ فيه الشخص بالتضحية بأيّ شيء كان ماديًّا أو معنويًّا و ذلك في سبيل تحقيق غاية نفعية معينة يحددها الشخص المعني بالأمر، أي مقابل تحقيق غاية معينة عن طريق**"الدعاء إلى الله"** و قد إختار هذا الشخص التبر ع بالدم وسيلة لرد الدّين.

يقول السيد سالم (48 سنة) ***:"..توقفت عن الدراسة في المستوى السادسة ابتدائي ، لم أتمكن من المتابعة لأنني من عائلة فقيرة و عددنا كان أثنا عشرة، كذلك كنّا نسكن في منطقة نائية في ولاية" تيارت" و المدرسة بعيدة هذه الظروف فرضت عليّا التوقف عن الدراسة و الخروج للبحث عن عمل و بين تعلم الحرفة "تعلمت حرفة الترصيص و أنا الآن أعمل في مصنع الأمونياك بضواحي "تليلات" ...أول تبرع لي كان سنة 2006 و المناسبة هي أنني مرضت و لم أكن أعلم في البداية ماذا كان نوع المرض الذي أعاني منه كنت أشعر بألم حاد على مستوى الجهاز البولي؛ ذهبت إلى الطبيب في العيادة المتعددة الخدمات عدة مرات لكن دون نتيجة و نصحوني أن أذهب لأخصائي في أمراض الجهاز البولي . ذهبت و طلب مني إجراء تحاليل و أعطاني علاجا ، في تلك الفترة الفاصلة بين التحاليل و العلاج بالأدوية تراوح الشّك بين "ميكروب" على مستوى الجهاز البولي و بين بداية " سرطان على مستوى غدة البروستات " ...تلك الفترة كنت قلقا جدا، خفت أن أكون مصاب بالسرطان و آمن بالقضاء و القدر لكن السرطان في تلك الناحية من الجسم أمر صعب تحمله و إن وصلت الأمور إلى عملية جراحية في الجهاز التناسلي و كأنه قضاء على رجولتي ...شعرت بالاكتئاب كثيرا و في ليلة نذرت نذرا و طلبت إلى الله ؛ إن شفيت فسوف أتبرع بالدم قدر المستطاع كل ثلاث أشهر؛ أتبرع حتى يقولوا لي أنك غير قادر على التبرع ...أنا الآن و الحمد لله شفيت حينها من ذلك الميكروب بالأدوية و قد تبرعت من حينها 14 مرة (أراني بطاقة المتبرع و عدّ المرات التي تبرع فيها و كانت تبرعات تقريبا منتظمة أي تبرع كل ثلاث أشهر) و الحمد لله أنا بصحة جيدة ...".***

برزت فكرة التبرع لدى هذا المتبرع عندما اجتاز تجربة ذاتية، سمحت له بخلق رابط رمزي الذي يسمى في الدين الإسلامي" **بالنّذر**" هذا النوع من الإتفاق المشروط رمزيّا مع الله ينص على علاقة "**هبة تبادلية** " ارتبطت بحالة وضع فيها هذا المتبرع نفسه في حالة "**ديّن رمزيّ**" " **une dette symbolique** ". هذا الدَّين الذي كانت ظروف وضعه اختيارية و لكن إرجاعه إجباري إن حدث و تحقق طلب الشخص و لم يوفى النّذرُ فكأنه نقض الإتفاق.

يضيف السيد سالم :"**...في تلك اللحظة التي نذرت فيها لم أكن أفكر في أي شيء إلا في الصّحة..فتبادر لذهني وقتها أن التبرع بالدم هو بمثابة إنقاذا لشخص...لو أنني نذرت بالمال أو بالصوم في تلك اللحظة لكنت وفيته بأي شكل من الأشكال و انتهى الأمر لكن عندما نذرت بالتبرع بالدم و الاستمرار فيه تقييدت أكثر لأن حسناته عند الله أكبر أولا لأنني أوفي به، و كذلك مع الغير عندما أساهم في إنقاذ حياة شخص ما ....**"

الغاية التي من أجلها خصّ هذا المتبرع التبرع بالدم دافعها نفعي نظرا للتخوف من المرض و لقناعته بالقدرة الإلهية المتفوقة التي جعلته ينجو من تلك الإحتمالية في إصابته بالسرطان.

هذه الهبة بوساطة الدم، هي صورة واقعية لاندماج المتبرع في إطار حياته اليومية و تأسيس روابط روحية الغرض منها هو قضاء " **حاجة**" أو إدراك غاية نفعية و تترقى نحو السعي وراء غاية قيمة.

و قد ذكر بهذا الصدد المتعلق بالمجال الرمزي بين الهبة و الحاتجة الرمزية إليها؛ Weber M. «.. أن الهبة تريح الضمير بإتمام محبته للواجب هو كذلك تمسك بقيمة أخلاقية أكثر ترفعا من محبة البشر العاطفية... »[17].

[17]Cité par Godbout ;J « Ce qui circule entre nous » op.cit p.201.

يضيف السيد سالم ***:" ...ما أنتظره من التبرع و من الأشخاص الذين يستقبلون من دمي أن يدعو لي بالتوفيق..أنا محتاج لعون الله و لدعواتهم خاصة في هذه الأيام فأنا أنتظر منصب عمل في شركة "سوناطراك" و أتمنى أن أحصل على هذا المنصب..."***

بالرغم من أن النّذر الذي هو بمثابة إشراك للجسد الفيزيائي في الوسط الرمزي كما يبدو في شكله و مضمونه الظاهري نوع من الإتفاق الرمزي إلا أن صاحبه يبقى في تبعية ، هذه التبعية التي تستثمرها في شقين ؛ الشّق الأول المتعلق بالوفاء بالدّين و الشّق الثاني الخاص باكتساب و حصول الفاعل على أجر فعله ، هذا المقابل بالمتعلق إلى سعيه لمكسب دنيوي. بالنتيجة يمكن أن نقول أنها علاقة عطاء يُنتظر منها مقابل. تكمن أهمية هذا النوع من الهبة المؤسسة على تضحية يتعمق خلالها المنطق التبادلي الرمزي عند وضع أول شروط احتمالية هذه العلاقة.

بلجوء الفاعل الاجتماعي إلى إستراتيجية تكسب فعله جانب من العقلانية فهو يقدم التبرير الرمزي على أن **"الفعل خالص"** أي خالي من أي صورة من صور المنفعة المباشرة، لكن ضمن العلاقة التبادلية الرمزية تضم في محتواها انتظار المتبرع عائدا هذا **العائد ديني** يعني مقابل، وهذا المقابل المراد منه ما هو رمزي وغايته قيمية. كذلك ما هو مادي مباشرو لو تباينت درجة و نوعية هذه المنفعة المادية.

4- الدافع الغيري من التبرع بالدم :

4-1- الروابط الاجتماعية بين المنطق النّفعي و بين المنطق العطائي:

في عملية التبرع بالدم؛ إذا حدث و احتاج أب أو أم أو أحد أبنائهما أو الأقارب إلى عملية حقن الدم و كان أحد من بين هؤلاء المتبرع، يمكننا أن نعتبر تبعا لذلك أن قوة الرابط الإبتدائي شرحا كافيا و تبريره واضح. لكن أن تخصص وقتا و تفكيرا و جهدا للتبرع لأشخاص مجهولين ،هو تجاوز من الذات إلى الآخر .

"الهبة" و التي تناولتها أكبر الديانات قبلا، و بالنظر إلى المكانة التي أوليت لهذا السائل الحيوي كما سبق و تحدثنا في مقدمة البحث وفي الفصل الثاني من هذا المحور، الأمر الذي يسمح لنا بفهم طبيعة العلاقة بين هبة الدم و الشبكات التي تتضمنها في مجتمعنا.

يقول السيد عبد القادر (36سنة): ***"...عندما أتبرع لأشخاص لا أعرفهم و لا يعرفونني، أحسّ بالإفادة في شيء للآخرين...التبرع لشخص من العائلة "لازم" إذا احتاج أحد من العائلة للدم، الكل يأتي للتبرع له... بالزيادة أن الحاجة للدم، من نفس العائلة من الأمور التي لا تحدث كثيرا، فالحوادث لقدر الله لا تقع كل مرة...لكن هناك أشخاص مرضى و حوادث كثيرة و أشخاص يملئون المستشفى يمكن أن نتبرع لهم ...عندما نعطي الدم للغريب هي صدقة بالمعنى الكامل و ذلك يزيد من الأجر..."***

يضيف كذلك ***:"...إذا قصدك شخص "حشمك" أو حتى سمعت بشخص مريض بالمستشفى و يحتاج إلى الدم، ضميرك لا يرتاح خاصة عندما تكون قريب من المستشفى أو لا يصعب عليك الذهاب، و إذا سبق لك التبرع لفائدة شخص من العائلة أو أحد المقربين تجد صعوبة في تجاهل أي شخص يقصدك فهذا "عيب" يجب أن تترك عملك و تذهب معه ...و إن لم يكن الشخص بالضرورة الذي سيستفيد من الدم (بوصول إمدادات من عدة أشخاص في نفس الوقت) سيتوجه إلى شخص آخر محتاج إليه، المهم هو أن لا تخرج من المركز دون أن تتبرع بالدم..."***.

في خطاب السيد عبد القادر يظهر مفهوم الدافع الغيري من خلال التبرع بالدم لأشخاص لا يمت لهم بصلة قرابة دموية ؛ حيث ميّز بين التبرع لفائدة العائلة الذي هو من باب الإلزام هذا العامل الذي يمكننا أن نقول عنه أنه عامل يفرض نفسه وليس هناك خيار للمتبرعين في ذلك، لأن الحاجة إلى الدم من ذات العائلة أمر نادر، إلا إذا استثنينا حالة المرض عند أحد أفراد العائلة "كسرطان الدم" الذي يتطلب نقل دم بصورة ملحة و مستمرة.

لكن حتى هذه الحالة مؤقتة؛ لأن الشخص المريض بتقدم المرض يفارق الحياة (كما رأينا في بداية الفصل الثاني) لذلك يمكن القول أنه من المستحيل أن يكون متبرع بصورة شبه منتظمة و يخصص تبرعاته بالدم أو أن تتراوح تبرعاته ضمن الإطار العائلي أو ضمن الشبكة الاجتماعية المقربة (كالأقارب و الجيران) و تجاوز هذه الشبكة تعني إدراج أشخاص مجهولين .إدراج هذه الشبكة بعدة طرق كالتبرع من تلقاء نفسه و بسماعه للطلب عبر مختلف الوسائل الإخبارية بداية من الشبكات الاجتماعية الجوارية وصولا إلى وسائل الإعلام (كالرسائل القصيرة عبر الهاتف النقال أو نداءات عبر الراديو) تبعا لذلك فأن لتأثير العامل النفسي دور هام أي بتدخل الضمير و تأثير الرقابة الاجتماعية لأنه كما يراه المتبرع أنه ليس من الأخلاق تجاوز طلب شخص ما للتبرع بالدم و قد استعمل في ذلك ألفاظ دالة على هذا مثل " عيب" و يحشمك" ؛ هنا دور ضمير الفرد يخضع لتأثير ضغط النفسي على المتبرع في حالة ما لم يتجاوب مع الطلب.

عندما يقصد المتبرع مركز حقن الدم من تلقاء نفسه و يتبرع لفائدة شخص لا يمت له بصلة، الأكيد في الأمر ظاهريّا أن صورة الإرجاع المادية غير موجودة، و إن وجدت فهي تقتصر على عبارات الإمتنان و الشكر. يظهر على وجه المتبرع بعد سماعه إلى تلك العبارات بوادر الرضا؛ بالنسبة لديه أنها كافية و كفيلة على أن تجعل الفعل موجـــــــــــه لله و خالص من أي صورة منفعة شخصية بين المتبرع و المستفيد، و مظهر التبادل الرمزيٌّ بينهما هذا التبادل الرمزي هو الذي يحدد قيمة الرابط الذي يضع المتبرع من خلاله علاقة طردية بين التبرع و الأجر المعنوي ؛ فكلما تبرع إلى شخص لا يمت إليه بصلة قرابة دموية أو معرفية كلّما كان الأجر الإلهي الذي سيجزى عليه أكبر.

«...هذه الخاصية التي تحدث عنها رجل القانون الأمريكي**"Eisenberg"** خاصية التفريق في الهبة؛ بين الهبة في الروابط الابتدائية القائمة على العاطفة و الهبة في الروابط الثانوية ذات القيمة الأخلاقية، فما نهبه للغير ذو بعد أخلاقي...»[18]. تظهر قيمة الرابـــــط ضـــعيفة و إنما ترجع القيمة إلى الشيء المراد استعماله. الدم ذو المصدر المجهول بالنسبة إلى مستقبليه يتمحور عادة خارج الروابط الاجتماعية الملموسة بين المتبرع و المستفيد، هي أساسا تتغذى بالرابط الرمزي يعبر بشدّة عن الدافع التضامني من وراءه.

[18] Cité par Godbout ,J « Ce qui Circule entre nous » op.cit p.193.

كذلك السيد لخضر:***" .. و القادم من ولاية تلمسان (سبدو) الذي أتى إلى وهران حتى يتمكن من التبرع لفائدة أخ صديقه الذي يعاني من فقر دم مزمن ويقول :" ... نظرا لغياب الممرض العامل على جهاز ال" Ephèrèse"الذي هو الآن في تربص اضطررنا إلى القدوم لولاية وهران..."***

تقول الأنسة ***خيرة :" ... أنا اليوم هنا أتيت من ولاية مستغانم لأن جهاز" الإفريز" معطل و الطفل الذي أودّ التبرع له هنا بوهران مريض بداء سرطان الدم هو الآن بمستشفى الحاسي و يحتاج إلى صفائح، لقد سمعت عنه في قاعة الحلاقة التي أعمل بها فاتصلت بأوليائه و أنا هنا بكل رضا..." .***

يقول السيد ميلود ***:" ...اصطحبت معي شخصين هما صديقان، جئنا للتبرع لفتاة مصابة بالسرطان، عدت هنا للمرة الثانية البارحة واليوم تركت عملي وعطلت صديقاي، رغم صعوبة غيابهما عن الثكنة العسكرية طيلة الفترة الصباحية سرا...وقد طلب منا العودة مساءا لأسباب مجهولة..لكن وضع الفتاة صعب نوعا ما ويلزم أن تزود بالصفائح في أقرب وقت...."***

عندما يتعلق الأمر بالتبرع بالدم لمجهولين، المتبرع أقل تمنيا لوجود الرابط الفعلي مع المستفيد و يقتنع بالرابط الرمزي، كما أن الإنتقال من مكان إلى مكان آخر خاصة إذا كانت المسافة نوعا ما بعيدة، فهي تدل على قوة الدافع الغيري لدى المتبرعين سواء كانوا مقربين أو مجهولين عنهم ، ومن أجل التبرع يتكبدون عناء التنقل و كذلك مواجهة بعض العراقيل سواء مهنية أو إدارية ؛ تبعا لهذا فالدافع الغيري حاضر و كفيل يشرح نوع الروابط المكرسة بين المتبرع و بين المستفيد.

لابد أن المتبرعون المتطوعون هم من بينهم، التبرع للغرباء يسقي النسيج الاجتماعي بحيث يرى "**Titmuss** " أن التبرع بالدم من أقرب الرموز للرابط الاجتماعي حيث قال **:** « **...** العلاقات الاجتماعية تخلق بفضل تبادل الهدايا هي من بين العوامل الأقوى التي تبقى على مجتمع إنساني موحد... »[19].

[19] Titmuss ;R,(1972) « The gift relationship from human blood to social policy» op. cit, p.74

5-ارتباط التبرع بالدم بالوضع الصحي لدى المتبرعين:

«...إن حياتنا الفيزيولوجيا عبارة عن مجموعة من الميكانيزمات التي يكمن دورها في خلق علاقة التوازن بين حدود الوسط الداخلي الجسدي و الوسط الخارجي المحيط به و خلال هذه العملية يتم التحكم في المغذيات الخارجية من أكسجين و غذاء لتزويد الجسم بمواد جديدة بحيث يقوم الجسم باستهلاك المواد الضرورية و يفرز النفايات الضارة للجسد و ذلك عبر سوائل التي تتمثل في البول، العرق و الدم.

كذلك يمكن الربط بين الحياة البشرية وتطورها بمراحل ذات صلة بالدم، فنحن نولد في الدم و تكاثرنا مرتبط بالدورة الشهرية لدى الأنثى وقد نموت بسبب نقص أو مرض في الدم. إن جسدنا الفردي و الاجتماعي متعلق به و بحركته المنتظمة كما يتعلق الفرد بمغذياته. إن وجود العديد من المعتقدات الشعبية التي ترجع إلى المعادلة التي تتوافق بين الدم الجيد الذي يعني أنك بصحة جيدة، و مع تطور العلوم البيو-طبية التي لم تبتعد عن هذا الرأي ، فالممارسة الطبية تحول التحليل البيولوجي للدم كوصف للحالة الصحية للشخص سواء إذا كان مريضا أم لا.

بوساطة عملية اقتطاع الدم من الشريان أو من مواضع أخرى ثم إخضاعها لكشف مجهري يمكن أن يبين للأشخاص الظاهرين أنهم بصحة جيدة أن تبين لديهم حالات مرض خفية (كالسكري، الميكروبات والفيروسات، الإضطرابات الهرمونية...) و التعقيدات الصحية التي يصعب كشفها بواسطة اختبار أو استشارة إكلينيكية و حدها فهي لا تكفي.

التحليل الروتيني للطبيب يرتكز في أغلبه على طلب تحاليل عامة تمكنّه من تشخيص وضع المريض و إذا تطلب الأمر؛ يطلب من المرضي تحاليل أعمق على مختلف إفرازات الجسد و كذلك على الدم. إن للدم دور أساسي في توقع الأمراض...» [20].

[20] Grassineau,D ; « Au fil du sang » op. cit p.97.

1-5 المعرفة العامية عند المتبرعين حول النشاط البيولوجي للدم:

إن العلاقة التي يشكّلها المتبرع في تعامله مع السائل الجسدي ذو صلة مباشرة مع وضعيته الصّحية، التبرع كمؤشر يكشف من خلاله عن الوضعية الصحية و كذلك بحيث يرى أنه من الممكن التخلص من كميات الدم الزائدة عن طريق التبرع المنتظم، كذلك بوعي منه أن سبب العلل و الأمراض هو قلة الاستشارة البيو-طبية أي المتعلقة بمراقبة سوائلنا الجسدية و ما يطرأ عليها من تغييرات، لذلك التبرع هو بمثابة فرصة لمن هم أصحاء للحفاظ على صحة أجسادهم من الأسقام.

يقول السيد لخضر: ***" ...عند التبرع من فترة إلى أخرى فإن الجسم من ذات نفسه يشعرك بالحاجة إلى اقتطاع الدم ،بعد مرور فترة لا تتجاوز ستة (06) أشهر يظهر ذلك، من خلال أعراض أشعر بها كثقل الحركة و التعب بعد إجراء جهد قليل و صداع خفيف في أغلب الأوقات ، التبرع بالدم بالنسبة لي طريقة أصفي فيها جسمي من المكونات الزائدة فالكريات الحمراء تتجدد كل 120 يوم لذلك من الضروري أن تمنح أجسامنا فرصة تنشيط حركة الدم بذلك ترجع الحيوية و الصحة للجسم، قد أشعر بنوع من الإعياء و الدوار بعد الاقتطاع لكن لا يضرني الأمر فبعد مرور بضع ساعات أسترجع قواي و أصير أحسن ممّا كنت عليه..."***.

يضيف السيد لخضر:***" ... مرة تبرعت لفتاة لا أعرفها، لقد استدعوني في ساعة مبكرة من قبل أحد أصدقائي..لقد وجدت نوعا من الصعوبة في أن أكون نشطا، أحسست بالثقل في كل جسدي، لقد اعتاد جسدي على اقتطاع الدم من فترة لأخرى لكن في تلك الفترة تخلفت عن التبرع لأسباب مهنية... عندما استلقيت على السرير و غرزت الإبرة في ذراعي، أخذ كيس الدم وقتا للامتلاء مقارنة بالمرات السابقة، عندما نشعر بالإعياء أو التعب هذا يعني أن لدينا كميات دم زائدة لأن الجسم اعتاد تغيير على تجديد الدم من فترة إلى أخرى..."***.

تقول السيدة صليحة ***:" ...لا يمكنني أن أنقطع كليّا عن التبرع بالدم، لأنني أشعر بثقل في كلّ جسدي. لقد اعتدت أن أخفف من جسمي...فعندما أتبرع أشعر براحة و نشاط عكس ما أشعر به في حالة ما إذا طالت المدة عن آخر تبرع..."***

تقول صليحة **: "...إذا امتلاء الكيس بسرعة فهذا يعني أن كريات الدم الحمراء غالبة على باقي المكونات...أما إذا كانت سرعة امتلاء الكيس(وحدة الدم) بطيئة لفترة تصل حتى 10 دقائق [21] على الأقل فهذا يعني أن الدم ثقيل لأن صاحبه قليل الحركة و زائد الوزن..."**

المتبرعون بالدم بحكم الممارسة و التردد الدوري على مركز حقن الدم تشكلت لديهم معارف مبدئية عن النشاط الدموي في أجسادهم يتضح ذلك من خلال ذكر البعض من مكونات الدم و عن نشاطها ، و بحكم الممارسة كذلك يشعرون بالإنعكاس الإيجابي الذي يعقب عملية الاقتطاع .عند الجنسين الأعراض نفسها على الرغم من الاختلاف في النشاط البيولوجي بينهما.

[21] ملاحظة: خلال اقتطاع الدم، يرقب المتبرعون و هم ممددون على أسرتهم سرعة امتلاء الكيس و يتعلق الأمر هنا **بالإقتطاع الكامل للدم " prélévement total du sang ".**

-إذا كان المتبرع بصحة جيدة ، فإن للخلاصات البيو طبية التي خرج بها بعض المتبرعين صحيحة طبيّا ،لأن اقتطاع الدم من فترة إلى أخرى يعطي فرصة للخلايا الدموية للتجدد.

2-5 الدوافع الصحية وراء التبرع بالدم الشبه المنتظم :

تضيف السيدة صليحة ***:"...أشعر بثقل في جسمي و قد زاد وزني في الفترة الأخيرة لذلك عليّ أن أنقص من الدم بالتبرع و أن أمارس حمية غذائية كما قال لي الطبيب عندما قام بوزني....."***

تقول الآنسة ليلى ***:"...بما أنني أتبرع بصورة تقريبا منتظمة فإنني بصحة جيدة ، لم يحدث لي وشعرت بالمرض بعد التبرع، بل على العكس من ذلك خاصة عندما اعتدت على التبرع تتأكد من ذلك بعد المرور بالإستشارة الطبية فعندما يتم قبولك للتبرع فذلك يعني أنك لا تعاني من أي أعراض تعب أو مرض..." .***

يقول السيد عبد القادر***:"...لا أذهب كثيرا إلى الطبيب و لا أجري أي تحاليل على الدم من جهة لم أشعر و الحمد لله بأي حاجة لذلك بالإضافة إلى أنني أتبرع بالدم، و بالمركز نمرّ بالطبيب و يجرون تحاليل للدم و لو كان هناك أي مشكلة سيتصلون بنا... "***

يقول عبد الوحيد ***" ...التبرع بالدم من أفضل الطرق، هنا يمكن إجراء تحاليل ليس الكثير لكن أهمها كما يمكن أن نتأكد من حالتنا الصحية بعد أن نمر بالطبيب العام ومن خلال تحاليل تجرى في مختبر المركز و بما أنني أجد نفسي في فترات تتجاوز 3 أشهر في المركز أمر بالطبيب إذا وجدت ضغطي منخفض أهتم أكثر بنفسي و أعطي قسطا من الراحة لجسمي و أمّا إذا كنت بصحة جيدة و حالتي تسمح بالتبرع أتوجه لقاعة الإقتطاع و أتبرع..." .***

يقول عبد الوحيد ***:"...أن تأتي إلى المركز و تبقى ساعتين من أجل التبرع لأحد المرضى بالسرطان فيه أجر كبير ، أكثر من أن تتبرع لمدة 10 دقائق، إن مرضى السرطان يحتاجون إلى الصفائح الدموية و ليس الكلّ يمكنهم أن يتبرعوا بها...ليست المرة الأولى التي أتبرع بها بالصفائح قبل ذلك يُجري لي الممرض تحاليل FN S[22] و الحمد لله أنا قادر على التبرع و هذا يريحني كثيرا، من جهة أمدّ الصفائح لحالة مرضية خطيرة و من جهة أخرى أطمئن على صحتي بتحاليل أعمق..."***

تقول السيدة (ك) ***:"...أقصد المركز لأشكل صداقات جديدة قد أحتاجها في المستقبل، فمن خلال احتكاكي المتكرر بالعاملين سواء بالمركز أو في أقسام أخرى داخل المستشفى شكلت معارف ... وقد أستفيد من تحاليل يطلبها مني الطبيب، أو تحاليل روتينية لا أجد صعوبة في الإطلاع على نتائجها، كما أنني إذا ما قصدت فلان أعرفه يرشدني إلى غيره..."***

هذه العملية التي لا تستثني بعض النساء من بينهم و إن خصت الرجال أكثر بالنظر إلى الاستعدادات الجسدية لهذا النوع من التبرع.

تقول سعاد و هي متصلة بالجهاز:**"....التبرع بالجهاز يختلف عن الاقتطاع الكامل للدم...تشعر بعودة الدم إلى جسمك بارد...و يجب أن تتناول الطعام جيدا قبل العملية و أن لا تقوم بحركة نوعا ما عنيفة كأن تنهض عندما يصدر الجهاز إشارات إنذار ...هكذا قال لي الممرض...الحقيقة أن التبرع هكذا يبدو لي أحسن لأنني سأتبرع مباشرة للطفل المريض بالسرطان، و كذلك أجريت تحليل الدم و قد بيّن أنني أتناسب مع هذا النّوع من التبرع "بالبلازما" إذن أنا بصحة جيدة..."**

[22] للتبرع بجهاز **Ephérèse** يجب أن يجري المتبرع تحليل **FNS** على مستوى المركز والذي من خلاله يبين جميع العناصر الغذائية الموجودة في الدّم وكذا نسبة كل مكون من مكونات الدّم (البلازما، صفائح، كريات بيضاء، كريات حمراء، البروتين و غيرها من مركبات الدم). وإذا لم تتوافق والمجال الموضوع كمعيار لها، لا يجري الاقتطاع و بانخفاض ملحوظ لبعض هذه المكونات هو دليل لبداية فقر الدم.

حسب ما استنتجنا من هذه التصريحات؛ أن التبرع يخلّف أولا راحة جسمية ومع تكرار العملية مرتين فأكثر و خلال فترة تشترط أن لا تكون بعيدة جدا؛ فإن الجسم يشعرك يطلب التخلص من كميات الدم الفائضة عن حاجته و يظهر ذلك من خلال إشارات عضوية و التي تعكس النشاط البيولوجي للشخص المتبرع، هذه الإشارات هي التي تشعر صاحبها بالرغبة في التبرع ومن أهمّ الأعراض؛الصّداع الخفيف، ثقل الحركة، التعب بعد جهد بسيط ، بعد الاقتطاع تبدأ هذه الأعراض في الزوال شيئا فشيئا، و تعود الحيوية للجسم.

عندما يمرّ المتبرع بالإستشارة الطبية الروتينية دون أن يكون لديه أيّ مانع عضوي للتبرع في أبرزها نزول في الضغط الدموي أو مشكل في الوزن المثالي مقارنة بالسن و طول القامة، هذه الشروط هي التي تحدد إمكانية التبرع لديه، فحسب ما ورد على لسان المتبرعين الاستشارة الطبية و التي تمثل الحكم الفاصل إما للتبرع أو عدم لإمكانية التبرع. إذن هي مؤشر لصّحة جيدة في حالة المرور إلى قاعة الإقتطاع . بالإضافة إلى أن التبرع هو فرصة للمراقبة الدورية لأنهم قليلا ما يلجئون إلى إجراء تحليل مخبري دون أن يعانوا من أيّ مشاكل صحية مسبقا.

إن للخدمات النفعية التي يوفرها المركز حافز يشجع المتبرعين على المواظبة على التبرع بداية من الاستشارة الطبية يستفيد خلالها المتبرع من مراقبة بعض المؤشرات الصحية كالوزن و الضغط الدموي. كما يمكن الاستفادة من التحاليل بصورة دورية و كذا التعرف على محتواها و هذا بالمجان خاصة فيما يتعلّق بالتفضيل ما بين التبرع الكامل للدم و بين التبرع المجزّأ للدم على الدغم من طول المدة الزمنية التي يجب أن يبقوا فيها متصلين بالجهاز، و يبرر هذا التفضيل أولا بتوجه **جزء الدم المستقطع** بصورة خاصة إلى شخص مريض بالسرطان الدم و كذلك عمق التحاليل التي سيطلع على نتائجها قبل الخضوع للإقتطاع.

5-3-الحجامة كتعامل صحي آخرمع الدم عند المتبرع :

إن مراحلنا الدموية هي تلك الفترات التي يتعامل الأفراد فيها مع أجسادهم بوساطة هذا السائل، هذه المراحل تختلف من حيث الجنس : فإن الأنثى تصفّى دوريا عبر الدورة الشهرية (دم الحيض) و الولادة، العامل البيولوجي الذي ينقص من لجوئها إلى تعاملات علاجية أخرى لها علاقة بالدم. لكن الذكر بغير توقع حدوث إصابات ناتجة عن الحوادث في مقدمتها حوادث العمل و حوادث المرور، ليس له علاقة قريبة تجمعه مع هذا السائل.

غير أن ثقافة الشعوب تتدخل من خلال عملية "الختان" هي ممارسة قديمة، الهدف منها التطهير من الأمراض، هي مؤلمة لتوقيف الدم الذكري؛ إضافة إلى هذه الممارسة القديمة هناك ممارسة أخرى تدخل ضمن التبادلات الرمزية و ذات الصلة القوية بالجانب الصحي لدى الرجل و حتى المرأة لكن بنسبة أقل، و يرجع ذلك إلى العوامل البيولوجية التي سبق ذكرها هذه الممارسة ما يطلق عليها **"الحجامة".**

هذه العملية تمارس بهدف تصفية الدم من الأسقام التي تكون متراكمة في الجسم، هي عملية تشريح بين الساعد و الذراع أو ما يسمى **"بمحل الفصد"**.

« هي عملية شائعة في مختلف أماكن العالم منذ وقت الطبيب**" ابن سينا "** و حتى في أوربا **(kerridge et lowe 1995 Muraver1977)** لكن هي منتشرة أكثر في إفريقيا و إيران و آسيا الوسطى. إتصلت هذه الممارسة بالجانب الديني الذي يرجع إلى عهد النبي محمد رسول الله و قد دخلت في ما يطلق عليه بالطّب النبوي، و إقتداء به تمارس من قبل الرجال أكثر من النساء، هي ممارسة لسبب التشخيص الذي قدّمه ابن سينا " يتعلق بالسائل البدني الملوث و الذي يجب أن يقتطع بفضل هذه العملية أي الحجامة. »[23].

يقول السيد يوسف ***:"...الحجامة؛ هي اقتطاع الدم الفاسد المتراكم في أنحاء الجسم و استجماعه (بعد أن يدلك كل أنحاء الجسم) في مواضع معينة، يقوم المعالج التقليدي (الذي يشتهر بالحكمة)[24] ، بعدها بواسطة شفرة حلاقة بعد أن معقم في المنطقة، بعدها يقوم بتشريح الجانب بين الساعد و الذراع تشريحا خفيفا، أي في الطبقة العليا من الجلد و قد تراكم الدم في تلك المنطقة .. ثم بواسطة كأسين زجاجيين يحتويان على قطع ورقية غير كاملة الاحتراق توضعان على المكان المشرّح لتنطلق قطرات و كأنها قطع صغيرة من الدم في الخروج...بذلك نكون قد تخلصنا من الميكروب داخل الجسد...هذه الميكروبات التي أخذناها من الأغذية التي نتناولها ونلتقطها من الوسط الخارجي الذي نعيش فيه المملوء بالملوثات من روائح كريهة، و غازات نستنشقها من الهواء..."***

[23] Cité par Grassineau,D ; « Au fil du sang » op. cit, p. 98.

[24] **الحكمة :** الذي بيده البركة، يشفي العلل بوسائل تقليدية وهذه الحكمة يشتهر بها الرقاة و المداوين بالأعشاب والذي تطلق عليه تسمية **"الطالب"**.

يقول يوسف ***: " ...اعتدت التبرع من فترة لأخرى غير أن تبرعاتي متباعدة نوعا ما فقد أتبرع مرتين في السنة، لكنني لا أنقطع ، أقصد المركز للتخفيف من كمية الدم الزائدة ومع حلول فصل الربيع من كل سنة أجري كذلك الحجامة، لأتخلص من الشوائب (الميكروب)... عندما أتبرع بالدم من فترة لأخرى أشعر بالخفّة و النشاط و بمرور الوقت تصبح ممارسة يعتاد عليها الجسم، وبما أن الحجامة محددة بفترة معينة أتردد على المركز و أتبرع لأي كان...التبرع فيه أجر و ثواب و الحجامة مداواة و من سنة الرسول..." ..***

يضيف السيد يوسف ***:" ...الحجامة مرتبطة بفترات زمنية معينة من 17 إلى 21 من شهر مارس أو أفريل حيث تتزامن فيه حركة القمر بالمدّ و الجزر وفي ساعة مبكرة من الصباح.و لكن بسبب العشوائية في ممارستها و جهل حتى ممارسيها بضوابطها كاحترام المواقيت التي يجب أن تجرى بها سعيا من هؤلاء المعالجين وراء المال حتى أن الحجامة يقوم بها الأطباء في عياداتهم و حتى الممرضين و شيخ الجامع و الراقي..." .***

تكوين هذه العلاقة أو التعامل مع الجسد و سوائله هو إشراك للجسد الفيزيائي و الجسد الاجتماعي اللذان يدخلان ضمن المعرفة الطبية الشعبية ، هذه الطريقة العلاجية الشعبية تعطي الدم انطلاقة رمزية تدمج الشخص ضمن وسط اجتماعي و ما ورائي عندما أرجع المتبرع الحجامة كممارسة من سُنن الرسول ، على ضوء هذه التمثلات التقليدية لعملية اقتطاع الدم لكن المختلفة عن التبرع بالدم ، إن الحجامة اقتطاع يخصّ استخراج الملوثات من الجسد الذي يتم بعدها التخلص منه. التبرع بالدم كطريقة طبية حديثة من حيث الممارسة مهيئة لتشخيص الأمراض التي لا يمكن أن نقتصر على الحجامة كطريقة علاجية فهي تساعد على إجراء تحاليل أدقّ للدم، و كذا استفادة أشخاص آخرين من الدم الذي من المفروض أن يكون سليما من العلل. هذه من بين العوامل الأكثر التي تشجع الأفراد الرجال خاصة منهم اللجوء إلى التبرع مقارنة بوسائل أخرى.

إن هذه الممارسات و إن تباينت فهي تشرك ضمنها الأفراد بجسدهم الفيزيائي مع جسدهم الاجتماعي و إدراج الصحة و تعلقها بالثقافة و التعامل معها وفقها ، هذا المنطق الذي لا يخلو من الدافع النفعي خاصة عندما يتعلّق الأمر بالحفاظ على حالتهم الصحية.

الفصل الرابع :

عوامل المساعدة للإنتظام على التبرع بالدم الشبه منتظم.

1-المجال الزمني الفاصل بين التبرعات:

التبرع بالدم عملية تتطلب الإلتزام بمعايير محددة، و المقصود من الانتظام في هذه العملية هو إلتزام المتبرع بالاستمرار في التبرع لمدة زمنية معينة وفق شروط ؛« طبيا وحسب قانون الصحة العمومية المادة **5**- 1221 الذي ينصُّ على منع أي اقتطاع للدم لشخص قاصر إلا في حالات استثنائية جدا، في حالة طارئ علاجي لا يكون إلا بموافقة الأولياء و قد حدد السن الأدنى القانوني للتبرع ابتدءا من **18** إلى **65** سنة، بمعدل 3 مرات في السنة بالنسبة للنساء و أن لا يتجاوز 5 تبرعات في السنة عند الرجال. »[25].

من خلال خطابات المتبرعين ظهر أن مجال الإنتظام على التبرع لم يبرز بالمعنى الدقيق أي أن المتبرعين ليسوا ملتزمين بالمدة الفاصلة المذكورة ضمن المعايير الطبية .

يقول السيد ميلود:"***...منذ أن بدأت التبرع و أنا أتبرع مرتين في السنة على الأقل...***"

يقول السيد محمد:***" ... أنا أتبرع مرتين حتى ثلاث بمستشفى "تغنيف" ... وكلما سمح الوقت خاصة بعد وفاة صديقي تأثرت لذلك من حينها داومت على التبرع بالدم..."***

تقول خيرة :***"... تبرعت في 4 أشهر مرتين، الأولى لابنة أختي التي كانت بحاجة إلى الدم لعملية جراحية و الثانية كمتطوعة...أدرك أن ذلك ممنوع و يمكن أن أمرض، لكن لم يحدث لي أيّ شيء...."***

[25] Don de sang, article de wikipédia, l'encyclopédie libre, 2008, p.01.

يقول السيد يوسف ***" ...منذ التبرع الأول و خلال مدة لا تتجاوز 5أشهر على الأكثر أقصد مركز حقن و أتبرع لأي كان..."***

تعافيت تقول السيدة صليحة ***:" ...منذ أن أتيت للسكن مع زوجي في ولاية وهران، و أنا أقصد مركز حقن الدم ذلك تقريبا منذ 08 سنوات لكنني لم أنتظم بدقة عندما حملت بطفليّ الأخيرين..توقفت لمدة 03 سنوات بالإضافة إلى ذلك أنني أجريت عملية "الدوالي" لكني عدت للتبرع بالدم بعدما كليّا.."***

تقول سعاد: ***" ...في بعض المرات أجد نفسي أمام المركز وقد مرّ على تبرعي أكثر من 05 أشهر لكنني قد أكون في حالة حيض ولا يسمح للحائض بالاقتطاع، أعاود المكان مرة أخرى قد أتمكن من أن أتبرع أولا أتبرع لننزول في الضغط الدموي...هذه الأمور قد تحدث و تزعجني كثيرا عندما أرغب في التبرع..."***

تقول السيدة (ك)***:" ...أنا لا أنتظم في التبرع قد أتبرع مرتين قبل أن أكمل 04 أشهر أو أتبرع حتى 07 أشهر حسب الظروف خاصة عندما أمرض فأنا أعاني من حساسية مفرطة (نتيجة الرطوبة في بيتها) ...لا أستطيع أن أزيد من حالتي ، و أفضل الرجوع للتبرع بعد أن أرتاح تماما..."***

المجال الفاصل بين تبرع و آخر خلال السنة ، يمكّننا من أن نلاحظ مسار و وتيرة التبرع لديهم .عند المتبرعين الذكور تمثل هذه الفترة العمرية مرحلة الشباب و القدرة على العطاء بصورة دورية و لا يشكل عرقلة لذلك هم ملتزمون به أكثر منه عند النساء و يرجع هذا الاختلاف أولا للفترة الزمنية التي تفصل بين كل تبرع و آخر ، إضافة إلى تأثير العامل البيولوجي عند المرأة، فالمرأة خلال هده الفترة من العمر تفقد شهريا كمية من الدم خلال دورة الحيض، إضافة إلى حالات الحمل و الولادة و الرضاعة فهذا النشاط البيولوجي المعتبر مقارنة بالرجل يقلل من مشاركتها المنتظمة في عملية التبرع.

إن معيار الانتظام مرتبط بعوامل مساعدة هي التي تسهم مباشرة في مواظبة أفراد عينة البحث على التبرع .

2- العمل الذي يشغله المتبرع:

لمكان العمل و نوعية العمل إنعكاسا ايجابي على سيرورة التبرع عند المتبرعين الذين قابلناهم ، من بينهم عاملان بالقطاع الصحي احتكاكهم المستمر مع هذا الوسط الأمر الذي ساهم في انتظامهم على التبرع التعامل مع المرضى و أهلهم سواء توجه الدم المتبرع به لأحد المعارف أو المقربين، حتى الغرباء عنهم يقصدونهم بحكم العمل في مصلحة معينة بالمستشفى و لديهم معارف تسهل الاتصال بأشخاص يمكنهم التبرع في حال ما تعذر عليهم ذلك .

يقول السيد ميلود ***:" ...أعمل في مصلحة أورام الأطفال أتبرع كثيرا على الأقل مرتين في السنة حسب ظروفي الصحية..في هذه المصلحة عشت تجارب مريرة مع المرضى، تعودت الاحتكاك بالأطفال...يمكثون في المستشفى فترات طويلة يصارعون المرض حتى الموت...خلال السنوات السابقة لا يغادرنا طفل حتى نألفه و يألفنا في الآونة الخيرة تقريبا يموت طفل كل 15 إلى 20 يوم في أغلب الحالات هو صعوبة توفير الصفائح الدموية في وقتها ..السبب ليس لقلة المتبرعين لكن المشكل يكمن في عدم توفر الشروط الصحية لهذا النوع من التبرع..بعض العمال هنا يتضامنون مع أهالي المرضى أقلها بالدم ولكن الطلب عليه في تزايد...وصلت حتى أنني تبرعت مرتين في أقل من 3 أشهر...و في أوقات أخرى إذا لم أستطع سواء لظروف صحية أو تجنبا الوقوع في مشاكل مع المدير خاصة و أن المستشفى لا يتوفر على مركز حقن الدم ، ألجأ إلى أصدقائي و مقربين و أطلب منهم التواصل مع أهالي المرضى ...."***

يعمل هذا المتبرع في مصلحة الأورام السرطانية قسم أورام الأطفال هي المصلحة الطبية الأكثر طلبا للمادة الحيوية خاصة أن أغلب الاحتياجات من الدم هي من المكونات الدموية المجزأة الذي يتطلب شروط صحية معينة لمن يوجه تبرعه إلى هذه الفئة من المرضى ولأن المرضى هم من الأطفال فمقاومتهم تكون أقل خاصة إذا طالت مدة انتظار مكونات الدم. الظرف الذي يتطلب توسع مجال الحصول على متبرعين و هذا المتبرع من بين الأشخاص الذين يساهمون في ذلك.

يقول عبد الوحيد : ***" ... منذ أن بدأت العمل كسائق لسيارة إسعاف "SAMU" أصبحت أتبرع بانتظام لا أتجاوز 5 أشهر لكل تبرع أنتظر بضع أيام بعد مرور 4 أشهر في انتظار إذا ما يأتيني شخص يطلب المساعدة، فاحرص على أن أكون جاهزا إذا قصدني أحد ...و إذا لم يأتي أيَّ كان و هذا نادرا ما يحدث معي لأنه يمر عليَّ الكثير من الحالات المستعجلة فلا وقت لذويهم البحث عن متبرعين لذلك أفضل أن أكون قادرا على التبرع حينها ..."***

يتجنب هذا المتبرع التبرع من تلقاء نفسه كونه أكثر عرضة لطلب المساعدة عندما يشهدون قدوم حالة مستعجلة ، مصلحة الاستعجالات هي كذلك من أكثر المصلحات التي تتطلب الإمداد الفوري للدم خاصة إذا كان مخزون الدم قليل، فالمركز لا يمول المصلحات الأخرى بالدم من دون الحصول على الدم البديل .

أما السيد عبد القادر:***" ... تبرعت أكثر من 10 مرات خاصة عندما دخلت للعمل بالمذبحة آكل اللحم تقريبا كلَّ يوم...و حسب ما أخبرني الممرض بالمركز أن نسبة البروتين مرتفعة بدمي لذلك أنا أتناسب جيدا مع التبرع بالصفائح الدموية لفائدة مرضى السرطان ...بين فترة و أخرى أقصد المكان من تلقاء نفسي و أطلب من الأشخاص الذين هم بحاجة لمتبرع لمرضى من ذويهم...."***.

هذا المتبرع وبعد تلقيه لطلب للتبرع بالصفائح لفائدة مريض بالسرطان و بتوجيه من الممرض الذي أجرى له تحليل " **FNS**" ، وجد أن وضعيته الصحية الجيدة الناتجة عن عمله بمذبحة و بتناوله اللحم بصورة مستمرة العامل الذي ساهم مباشرة على استمراره في التبرع بالدم .

3- التعامل مع العاملين بالقطاع الصحي :

هناك من المتبرعين الذين يتواصلون بصورة مباشرة مع بعض العاملين من القطاع الصحي هم من أقاربهم أو أصدقائهم يكون التعامل معهم مباشر في يتصلون بهم في حال احتاجوا إلى الدم.

يقول السيد محمد: ***"...في تيغنيف أسكن مقابلا المستشفى و لدي علاقات مقربة مع العاملين ..و لدي أقارب يعملون في مصلحة التوليد و آخرون في مصلحة أمراض الأطفال، يتصلون بي من فترة إلى أخرى و نظرا لقرب مركز حقن الدم من مسكني لا أتأخر كلما سمحت الظروف لي بذلك...."*** .

تقول ليلى ***:". بعد أن تبرعت لفائدة الطفل الرضيع طلبوا مني بمصلحة أمراض النساء و التوليد ترك معلوماتي الشخصية لطلبي إذا لزم الأمر ..."***

تضيف *ليلى* ***:"...فصيلة دمي سالبة أعلم أن المحتاجين إليها قليل ، لكنني أتبرع بصورة تقريبا منتظمة لأنني تركت رقم هاتف المنزل بمصلحة التوليد لذلك توجهت أغلب تبرعاتي بالدم إلى حديثي الولادة الذين يخضعونهم لعمليات جراحية بعد ولادتهم...حتى أنني أتجنب الذهاب إلى المركز للتبرع من تلقاء نفسي مخافة أن يحتاجوني و أكون قد تبرعت، شخص كبير يمكنه أن ينتظر لكن الرضيع لا يقاوم...."***

بالنسبة لغلبة فصيلة دم عن أخرى هنا يتعلق الأمر بفصيلة A و O في عينة البحث، أغلبية المبحوثين يحملون من هاتين الفصيلتين ب Rh موجب، ظهر أنهم يحملون معلومات مفادها أنه كلما كانت الزمرة شائعة أكثر يكون عليها الطلب أكبر ، فالفصيلة السالبة قليلة لذلك يكون الطلب عليها قليل أو احتمال الحاجة إليها نادر.و هذا لا يعني انعدام متبرعين يحملون فصيلة دم ذات Rh سالب مواظبين على التبرع.

وما لاحظنا في قاعة الإنتظار أن المتبرعين المتوافدين يستفسرون عن فصيلة الدم التي يحتاج إليها المستفيد، يبرز هذا المتغير في حالة المشاورات التي تحدث بين المتبرعين و أهالي المستفيدين إنها أشبه بالمفاوضات بينهم و بين المركز الذي يتعين على العاملين فيه ضمان وصول الدم من فلان لفلان من خلال عملية استبدال للدم (يوفر المركز الدم للشخص المعني الدم من بنك الدم شرط الحصول على الدم البديل و الذي بدوره سيخضع للتحاليل قبل أن يستفيد منه شخص آخر و هكذا دواليك) .

4- بطاقة المتبرع بالدم عامل غير مباشر للإنتظام على التبرع :

بطاقة المتبرع التي تحمل اسم وصورة وزمرة دم، المعنى بالأمر هي بمثابة وثيقة تمكن المتبرع من تسجيل تبرعاته وتاريخها هي تلزمه هي بذلك ذات بعد نفعي لحد ما: إذا لزمتهم وثيقة أو ضمن وثائق لملف إداري و تستلزم تبين زمرة الدم فهي تفي بالغرض، إذا ما حدث طارئ هي تسهلّ التعرف على زمرة الشخص. كذلك تذكرهم بأوقات التبرع إنه نوع من التواصل الذي تشجع عليه مركز حقن الدم. في البيت مقارنة بالرجل وكذلك في حالة ما إذا حدث طارئ كحادث مثلا يسهل التعرف على فصلة الدم للشخص المصاب.

تقول ليلى ***:" ... تبرعت 10 مرات تقريبا حتى أنني كنت لا أكمل مدة 4أشهر بين تبرع وآخر لأنني لا أذكر التاريخ بالضبط ، لكن في المرة الماضية صنعت بطاقة المتبرع من خلالها يمكنني أن أعرف تاريخ آخر تبرع لي، والوقاية خير من العلاج، إضافة لو حدث لي حادث لقدر الله لا يجدوا صعوبة في معرفة فصيلة دمي...أنا أحملها دائما في حقيبة يدي..." .***

تقول السيدة (ك)***:" ... إن البطاقة تنفعنا أحملها معي إذا حدث لي شيء، لا يضمن أحد نفسه في هذا الوقت، حتى أنني في بعض المرات لكنني لا أريها للممرضين عمدا فإذا وجدوا أن المدة أقل من 04 أشهر فلن أتمكن من التبرع خاصة إذا تعلق الأمر بطلب مباشر من أحد الأشخاص،لا يمكنني أن أقول له أنني تبرعت منذ فترة وجيزة..." .***

يقول السيد محمد: ***"..لدي بطاقة المتبرع ، أسكن بالقرب من المستشفى و يتصلون بي أصدقائي وأقاربي في حال ما احتاج أحد إلى الدم بصورة مستعجلة البطاقة نتذكر من خلالها تاريخ آخر تبرع ..."***

يقول السيد سالم و هو يخرج بطاقة المتبرع :"...البطاقة تمكنني من عدّ المرات التي تبرعت بها و كذلك الفترات التاريخية لا أحب التأخر عن مواعيد التبرع و البطاقة تساعدني على الإلتزام أكثر..."

بطاقة المتبرع تفيد المتبرع في تسهيل التعرف على فصيلة لديهم في حال ما إذا حدث له مكروه و كذلك هي بمثابة التذكير بالتبرع بعد مرور المجال الفاصل عن آخر تبرع.

تختلف أسباب الحصول على بطاقة المتبرع من متبرع شبه منتظم لآخر وبين متبرع له بطاقة وبين متبرع لا يريد صنع بطاقة. وهذا حسب ما لمسنا خلال عملنا. فالذين يملكون البطاقة يرون فيها عامل يذكرهم كل مرة بالتبرع أي بتاريخ آخر يتبرع ليقصدوا المركز كلما تجاوز التاريخ الحالي المدة المحددة. بين كل متبرع وآخر. نجد هذه الفئة لدى النساء أكثر من الرجال لأن المرأة قليلا ما تخرج خاصة الماكثات بالبيت.

و هناك من المتبرعين الذي يريد أن يكون غير مقيد في ممارسته، ولا حاجة إلى همزة وصل بينه وبين العامل الوسيط.

يقول ميلود ***:" ... بالرغم من أنني لا أتوافق مع العاملين بمركز حقن الدم لكن ليس هناك طريقة إلا بالمرور بهم، لا أريد لا بطاقتهم ولا أن يذكّروني بالتبرع بالدم، فالذي يريد التبرع بالدم حقا لا يحتاج من يذكره***

5- التعامل مع المؤسسات التي تتلقى طلبات خاصة للتبرع بالدم :

من المؤسسات التي يتعامل معها المتبرع بالدم و ذات الصلة بهذا النشاط ؛ الجمعيات الخيرية و بفعل إنخراط المتبرع ضمن هذه الشبكة، العامل الذي يساعد على تسهيل و الاستمرار على التبرع.

يقول السيد لخضر: ***"... أنا أنشط بجمعية خيرية و خلال مناسبات كثيرة كالمولد النبوي قمنا بحملات التوعية بالإشتراك مع عمال الصحة و المساجد في أغلب المرات كانت ناجحة و عرفت إقبال معتبر...."***

تقول السيدة (ك): ***"..بالجمعية تصل نداءات الخاصة بالحاجة إلى متبرع بالدم و كلما تسنى لي ذلك أتبرع و بمشاركتي الفعلية بالجمعية أتلقى إعالات من دون مشقة..."***

و ما جاء كذلك على ألسنة ممرضين في المركز: **"...عندما ينقص عدد المتبرعين الذين يأتون من تلقاء أنفسهم (أي ليسوا من متبرعين لفائدة شخص من العائلة) فأننا نقوم بخرجات إلى المساجد خاصة. في تلك الأيام يكثر علينا العمل و يكتظ المكان الذي كان شبه فارغ بالمتبرعين...و كذلك نقدم طلبات عبر إذاعة "الباهية" و الجمعيات الخيرية التي تنشط عبر مختلف ضواحي ولاية " وهران"...."**.

من المؤسسات الفعّالة و التي تساهم من جانب في مواظبة المتبرعين على التبرع "الجمعيات الخيرية" ذلك فقد يستفيد من الخدمات التي قد يجنيها المتبرع من عضويته ضمنها و عن طريق المساهمة الإيجابية ما يدعم المتبرع و يتمكن من اكتساب مكانة مادية و معنوية. بالإضافة إلى الدور الذي تقوم به المساجد ووسائل الإعلام بالإشتراك مع الجمعيات الخيرية و المراكز في الاستدراج و التوعية. و تبعا لذلك يمكن أن نقول أن الجانب النفعي من التبرع بالدم حاضر و إن كانت طريقة منفعته غير مباشرة.

المحور الثاني

البعد المؤسساتي للتبرع بالدم

الفصل الأول :

1-التسيير العمومي لعملية التبرع بالدم.

استعرضنا في مقدمة البحث المستويات الثلاث التي يدخل فيها الجسد الفيزيائي ضمن تجارب يخوضها في تعاملاته. سواء على الصعيد الفردي له بمعنى؛ من جانبه المتمثل في تجربة الجسد في ذاته، الجسد الاجتماعي و التصورات التقليدية للجسد في تفكيره بالطبيعة المجتمع و الثقافة، هو كدعامة ميتافيزيقية و أخيرا الجسد السياسي؛ جسد يخضع لرقابة و قوانين تنظمه و تسيره.

و الانتقال من التصورات الخاصة و الدوافع وراء التبرع يستلزم حضور الوسط الاجتماعي العام الذي سنتطرق إليه عبر هذا المحور، هذا الوسط الاجتماعي المتمثل في المراكز الخاصة بجمع التبرعات ملاحظة أرضية ميدانه سمحت بتحليل كيف لهذا السائل الذي يتنقل من فرد إلى آخر أن يخرج من الفضاء الخاص أولا من الجسد ثم بالعائلة الموسعة و الشبكة الاجتماعية المقربة إلى روابط مع أشخاص مجهولين عنهم، و يدخل في ضمنه الطرف الثالث المسؤول عن التعاملات بين هؤلاء الأشخاص.

إن الأطروحة التي تتضمن تبادلات الدم كمجاز و علاقة التقاء أو تزاوج قوية، هي كذلك علاقة مسيّرة من قبل المجتمع وهذا كذلك ما أسماه: **Fassin,D** « **" بتسيير الحياة "** «..." **Le gouvernement de la vie "** التي تحلّل التسيير السياسي للصحة كمنفعة عامة... »[1] .

[1] Fassin, D ; (1996) « L'espace politique de la santé, essai de généalogie» Paris , Presses Universitaire de France, P. 04.

تبعا لذلك؛ إن الاستعمال الجماعي للسائل الحيوي ذو الأصل الإنساني كمبدأ علاجي فردي هو فعل اجتماعي كليّ يتشابك بعدة اتجاهات، عدة أنماط تفكير: بين المنفعة الفردية و المنفعة العامة، اتجاه بين الحالة الصحية الجيدة و بين المرض (القابلية للتبرع تستلزم حالة صحية واضحة بحيث يقبل مؤسساتيا على أنه خالي من الأمراض). و اتجاه بين مفهوم الإدماج الجماعي، و أكثر شمولا اتجاه الجسد كمادة خاصة للصناعة البيوتكنولوجيا ذات الميزة النّفعية .

إذن يخرج الدم من فضائه الخاص أي انتمائه الجسدي إلى فضاء أكثر اتساعا يتضمن الفضاء العام.

« ...التبرع بالدم عملية تقنية يتكفل بها تنظيم وسيطي مأجور ينتمي للجهاز العمومي، والدم يصل إلى مستقبله بفضل هذا التنظيم، مثله مثل غيره من المواد التي يتلقاها المريض؛ فهو يعتبر جزء علاجي مثل المصل... »[2]

« ...العامل الوسيط المنظم للعملية، من مهامه أن يخرج التبرع بالدم من إطاره الشخصي الخاص بالعلاقة التي تتمحور بين المتبرع والمستقبل، إلى العام هذا التنظيم العمومي هو الذي يقسّم، يوزع تحت اسم التضامن للسائل الحيوي بين الفئة التي هي بحاجة إليه في المجتمع، هو تضامن أكثر إتساعا من الشبكات الأولية (الإبتدائية) و أكثر صحّة من الشبكات الخاصة (أي المؤسسات الخاصة بجمع الصدقات)، في كثير من المجتمعات المعاصرة نسبة كبيرة من الأشياء و الخدمات المتداولة تمرّ ضمن هذه الحلقة المتمثلة في الدولة عبر المحيط العمومي...»[3] .

[2] Godbout,J « L'esprit du don » op.cit P.78.

[3] Godbout,J « L'esprit du don » op. cit P.75

إذن المؤسسة فضاء مهيأ بهياكل و تجهيزات تقنية و طاقم بشري متمرن. خلال عملنا الميداني كان من المهم التحدث عن التعامل مع المؤسسة خاصة من جانب الخدمات الموجهة إلى المتبرعين ذات الصلة المباشرة و الفعّالة في إستمرار الأشخاص على التبرع ، و حتى سعيها إلى اكتساب متبرعين جدد بأكبر عدد ممكن. حاولنا معرفة كيف تحدث التعاملات بين مختلف العاملين في المركز و بين المتوافدين عليه بحيث هذا الأخير يحملون تصورات خاصة بهم، قد تختلف عن التصورات التي سبق التطرق إليها، كيف يدخل كلّ منهم في تفاعل يبرز سلوكيات الأفراد و ما ينتج عنها ؟.

2-مركز حقن الدم، فضاء مهيأ لجمع التبرعات:

2-1قاعة الإنتظار كمجال تعارف مع المؤسسة بين المتبرع و المستفيد:

تقع قاعة الإنتظار عند مدخل المركز يسارا، هي عبارة عن قاعة فسيحة مهيأة بمقاعد، حسب جدرانها و أرضيتها تشير إلى أن المركز شهد تهيئة و تجديد مند فترة وجيزة. ألصقت على جدران القاعة صور تحمل شعارات في صيغ لفظية مختلفة، تبرز أهمية الدم كسائل حيوي و كذلك أهمية التبرع و فائدته الصحية على المتبرع و المريض المستفيد منه، رمزية الدم للحياة و أن التبرع به صدقة جارية، و ملصقات تحمل شعارات : **" كتبرعْ بالدم، هي الطريقة الوحيدة لأن تحب "** بالإضافة إلى ملصقات أخرى تحذّر من فيروس فقدان المناعة المكتسبة.

يسترسل الأشخاص المتوافدون على المركز في النّظر إليها، و لطول مدة الإنتظار في بعض الأوقات (التي يمكن أن تقارب حتى 20 دقيقة) تلاحظهم يتمعنون النظر إليها. غير أن تأثير هذه الملصقات ليست بالكافية لاستدراج أكبر عدد ممكن من المتبرعين، أو حتى تكون سببا في قدوم الأشخاص للتبرع أو عامل مؤثر حفّز البعض على التبرع بصورة شبه منتظمة، هذه الملاحظة استنتجناها استنادا لما ورد على لسان المبحوثين خلال المقابلات، فلم يقرّ أيّ من المتبرعين على أن للملصقات صلة في مواظبتهم على التبرع بالدم.

وعلى جدار زجاجي ألصقت جداول إحصائية و تمثيلات بيانية، تبرز عدد المتبرعين خلال السنوات الأخيرة و خلال شهر جوان تزامنا مع اليوم العالمي للتبرع بالدم **(** 14 جوان من كل سنة **).** خلال هذا اليوم يرتفع عدد المتبرعين من أكثرهم مناسبتيّن نظرا لنشاط حملات

التوعية المكثفة المنظمة من قبل القطاع الصّحي بالتعاون مع النشاط الجمعاوي. ليقل الإقبال خلال شهر رمضان مقارنة بالأيام الأخرى بصورة معتبرة.

قاعة الإنتظار فضاء مفعم بالتفاعلات [4] ، قد يقصد المركز خلال الفترة الصباحية متبرعين و هم في عجلة من أمرهم، خلال هذه الفترة حوالي الساعة **9:30** إلى **11:45** تشهد القاعة حركة تتميز بمظاهر عرض و طلب كشكل من أشكال التفاوض حول مدى إمكانية الأشخاص للتبرع و لفائدة منْ من أهالي المرضى أو أقاربهم الذين يرجون الاستفادة من الدم .

عند حضور المتبرع من تلقاء نفسه يمرّ بقاعة الإنتظار قبل الإستقبال و يسأل إذا كان هناك من هو في حاجة إلى الدم، في حين تكون القاعة مكتظة بأهالي و أقارب المرضى حاملين ملفاتهم الطبية آملين في الحصول على الدم بالرغم من اصطحاب متبرعين معهم في أغلب الأحيان الذي يتراوح عددهم بين شخصين إلى ثلاث أشخاص؛ و نظرا لصعوبة الحصول على الدم من قبل أهل المرضى الذين لم يصطحبوا معهم متبرعين[5] خاصة إذا لم يتوفر الدم في حينه قد يضطرون إلى طلب يد العون من أعوان الحماية المدنية القريبة من المركز (بتوجيه من العاملين في المركز عند الإستقبال أو بالسؤال في قاعة الإنتظار) و حتى من الشارع بين المارة، و بعض الحالات التي رأيتها بأم عيني؛ تجدهم تائهين هنا وهناك يطلبون من الأشخاص المتواجدين في القاعة بلهجة من التّوسل. إذا ما هناك أحد يمكنه المساعدة بكمية الدم[6].

[4] ينقسم المركز إلى قسمين : **الفضاء التقني** المتعلق بالتعامل مع السائل (تفكيك مركبات الدّم وتحليله و وضعه في بنوك الدّم...)، **والفضاء الاجتماعي** المتعلق بالتعامل مع الأفراد المتوافدين على المركز.

[5] في حالة التبرع العائلي يكون معظم المتبرعين من أقاربهم، تبرعهم يكون مناسباتي أو تبرع لأول مرة.

[6] لا يتم اقتطاع كمية الدّم من الأشخاص الآتين مع أهالي المرضى في حالة هبوط في ضغط الدّم أو لنقص في أحد مكونات الدّم أو بعض العناصر كالكريات الحمراء أو البروتين؛ لذلك يستلزم البحث عن البديل.

ـ عندما يحضر أحدهم من المتبرعين كمتطوع يسأل أولا في قاعة الإنتظار؛ نظره يجب أن يكون المستفيد مجسدا أمامه.

يقول السيد عبد القادر ***:"...عندما آتي إلى المركز في أغلب المرات أسأل في قاعة الإنتظار من هم بحاجة لشخص يتبرع بزمرة A^+ ، في القليل من المرات التي دخلت إلى المركز و تبرعت ثم خرجت، أحب أن أرى الشخص الذي لا أعرفه شخصيا. لكن هو نوع من الاطمئنان، و إذا خرجت ولم أتبرع في ذلك اليوم لننزول في الضغط الدموي أتأسف كثيرا..لقد تبرعت مرة في شاحنة جمع التبرعات، لكن عندما وجهوني للمركز، فضلت المركز على الشاحنة لعدة أسباب من أهمها أنني هنا أتمكن من لقاء بالذين هم في حاجة للدم عكس الشاحنة..."***.

يقول السيد لخضر:***"... طيلة تبرعي لم أقصد مركز حقن الدم من تلقاء نفسي فجل الذين تبرعت لهم سواء في تلمسان أو حتى حضوري لوهران هم من المقربين أو تعرفت عليهم عن طريق واسطة يهمني أن أرى المحتاج إلى الدم و لا أفضل أن أقصد المركز لأتبرع و أخرج، أشعر و كأنني لم أفعل شيئا... لكن عندما أرى المستفيد يجعلني هذا أكثر اطمئنانا و كأن الأمانة وصلت لأصحابها، و هذا ليس بالأمر الصعب فالتعرف على أصحاب الحاجة من المرضى تجدهم كلما توجهت إلى المركز، و ما عليك إلا أن تسأل..."***.

يقتنع المتبرع بالتّعارف الشكلي بينه و بين أحد مقربي المستفيد ، يبدو من خلال خطاب المتبرعين أن الوجهة الأولى في المركز هي قاعة الإنتظار ؛ لأنها الفضاء الخاص بشخصنة الرابط بين المتعاملين الذي يرجعه إلى الاطمئنان على مسار الدم ؛ لكن هذا ما يعتقده المتبرع، بحسبه أنه عندما يرى المستفيد هذا يعني أن الدم الذي يتبرع به هو الذي سيتم حقنه للشخص الذي خصّص له الدم المتبرَع به، لكن الواقع أن عملية الحقن لا تجرى مباشرة، بحيث تحدث عملية استبدال للدم أيّ يحصل المركز على كمية دم و هي غير محددة طبعا؛ بمعنى استقبال جلّ التبرعات التي تدخل إلى المركز و يقدمون للمريض الدم المخزّن في بنوك الدم لأنه دم مفحوص و خاضع لتحليل بيو- كيميائي مسبقا، يرجع لأشخاص تبرعوا قبلا، و هكذا دواليك.

بالنتيجة لا يحصل المريض على الدم مباشرة إلاّ إذا استثنينا حالات مرضى **" الهيموفيليا"** الذين ينتظرون **صفائح الدموية** أو **البلازما** لمدة معينة، و السبب هو أن معظمها إن لم نقلْ كلّ التبرعات من هذا النوع تكون تحت الطلب فلم نلحظْ طول الفترة التي كنّا بالمركز أيّ متبرع متطوع قادم إلى المركز من ذات نفسه للتبرع بالصفائح؛ وهذا يعني أن المتبرع يوجه تبرعه مباشرة للمريض المعني بالأمر.

- إن هذا التعارف بين المتبرع و المستفيد ما هو إلاّ بمثابة ضمان للشخص المحتاج في الحصول على الدّم أيّ كان واهبه.

و بحلول الساعة **13:30** زوالا و حتى فترة بعد الزوال؛ تصبح القاعة شبه فارغة ومن حين لأخر يأتي متبرع متطوع أو متبرعين من المقربين لمرضى السرطان الدّم (لاقتطاع الدّم بجهاز **"Ephérèse"** نظرا للإكتظاظ على الجهاز خلال الفترة الصباحية. وقد يقصد المركز أشخاص لأول مرة بهدف معرفة زمرة الدّم، من أجل غرض إداري كوثائق لطلبات العمل أو لعقد زواج أو لرخصة السياقة، حضورهم لم يكن مهيأ للتبرع، فيتبرعون بوحدة دّم كاملة، بذلك يحصل المركز على وحدة الدم (الهدف من ذلك هو لتغطية النقص) فلا يجد الأشخاص تحرجا أو يبدون عدم رغبة ماداموا سيحصلون على طلبهم بالمجان.

بهذه الطريقة يحرص القائمون على المركز إلى عدم ترك بنوك الدّم فارغة لذلك لا يوفرون الدّم عند كل طلب إلاّ بتوفير البديل حتى وإن لم تتطابق فصائل الدّم ليس بالضرورة أن تكون فصيلة دم الشخص الذي أحضره أحد أقارب المريض نفسها التي سيوفرها المركز للمريض المعني .

2-2-1 قاعة الإنتظار فضاء لشخصنة الرابط بين المتبرع و المستفيد :

إن التطرق إلى أخلاقيات التبرع و التي تشتمل على : خاصية اللاتعارف ، التطوع، الرغبة دون إلزام، التبرع دون منفعة مادية، معايير موضوعة من قبل المنظمة العالمية للصحة هي ميزات تتوفر جميعها تقريبا لدى المتبرع الجزائري و حتى على الصعيد العالمي، باستثناء بعض الأنظمة القليلة المعمول بها في بعض الدول الغربية و التي تتعلق خاصة بجمع تبرعا الدم مقابل منفعة مادية .

خاصية اللاتعارف التي ميّز من خلالها " **Titmuss**" التبرع بالدم كهبة أكثر تقديرا عن غيرها من الهبات الحديثة و كهبة غيرية بامتياز أي نموذج مثالي عن صور العطاء في العصر الحديث، هذه الخاصية نسبية لدى المتبرع في الجزائر نظرا للميل إلى"شخصنة الرابط"**personnalisation du lien**" من طرف بعض المقبلين على الفعل ؛ وبين الاحتفاظ /أو إعطاء أهمية لهذه الخاصية ، كان هناك اختلاف في عينة بحثنا ؛ بين مفضلين و بين متحفظين.

أولى البعض أهمية في التعرف على المتلقي عن كثب؛ و إن لم يكن ذلك شرطا أساسيا حتى يقدم المتبرع على التبرع لأنه ظرفي إذا تحقق فذلك أحسن و إن لم يتحقق هذا لا يعني أنه سيمتنع عن التبرع عندما يقصد المركز.

يقول السيد يوسف ***:" ...إن التعرف على المتلقي يريحني ، أعلم أن الدم لا يتوجه الى الشخص المعني لكن رؤية أهل المريض مطمئنون بعد حصولهم على الدم من بنك الدم الخاص بالمركز أمر مشجع.. إذا دخلت وتبرعت ثم خرجت لا يصلك ذلك الشعور و عندما يدعون لك بالخير تتشجع أكثر و حتى أنك تنتظر بفارغ الصبر أن تمر03 أشهر لتعود للتبرع..." .***

تضيف الآنسة سعاد ***:" ...تبرعت في المركز و كذلك في الشاحنة الخاصة بجمع الدم، لكنني أفضل التبرع بالمركز؛ هناك يمكنك التعرف على المستفيد، أما بالشاحنة لا ترى أيّ أحد منهم...عندما ترى بعينك الناس الذين يحتاجون إلى الدم لا يمكنك التأخر عن التبرع لأن الصورة تبقى راسخة في الذهن..." .***

تقول السيدة (ك) ***:" ...عندما أقصد مركز حقن الدم أجد أقارب الذين يحتاجون إلى الدم لمرضاهم هم يقفون عند باب المركز في العادة، أسأل من هم بحاجة إلى الدم و إن أمكنني التبرع بعد أن أمر بالطبيب أوجه ذلك التبرع إلى الشخص المعني..أنا أفضل ذلك ، أطمئن أكثر، لكن لا يحدث ذلك دائما ؛ فقد أجد من يحتاج أو يحضر أهالي المرضى متبرعون معهم ، حينها أتبرع للمركز لأنه لا يمكنني الخروج من دون أن أتبرع ..."*** .

يلتمس المتبرعون من خلال تفضيل التعرف على أحد أهل المرضى لأنهم يجدون ارتياح أكبر مقارنة بالتبرع بالدم من دون ذلك ؛ هذا الارتياح الذي ينقسم إلى قسمين من جانب؛ أولا الراحة الناتجة عن التفاعل الذي يحدث بين المتبرع و أحد أهل المريض خلال الإتفاق الذي يحدث بينهما إن صحّ التعبير. و بحصول المستفيد على الدم يقوم هذا الأخير بالتعبير للمتبرع عن شكره و تقديره للصنيع باستعمال عبارات الشكر و العرفان و خاصة الدعاء له بالصحة و الخير و غيرها من الألفاظ و العبارات التي من شأنها أن تؤثر على نفسية المتبرع فهي بمثابة الدافع محفز على التبرع مرة أخرى، و ثانيا ارتياح المتبرع لرؤية المستفيد ذلك يطمئنه لمسار الدم الذي سيتبرع به لأن الذين يحتاجون إلى الدم من أي مصلحة علاجية

معينة بالمستشفى، يتوافدون على المركز لا إلى مكان أخر. و إن لم يحصل عليه ذلك الشخص بالذات فسوف يحصل عليه مرضى آخرون. حسب هؤلاء المتبرعين معنى وقوع الفعل لا يكتسب دلالة بغياب المتلقي و بدافع التضامن الناتج عن رؤية مدى إلحاح أهل المرضى للحصول على الدم من شأنه أن يساهم كذلك على الاستمرار

لدى بعض المبحوثين رؤية مختلفة عن هذه؛ فهم لا يعطون أهمية لهذا العامل، و يفضلون أن تنحصر العلاقة فقط بين المتبرع و التعامل مع المركز.

تقول صليحة ***:"...عندما أدخل إلى المركز أجد تحرّج من سؤال الناس إذا ما هناك شخص يحتاج للدم..أدخل و أمرّ بالإجراءات الإدارية ثم بالطبيب و الاقتطاع، أتناول بعض القهوة أو العصير الذي يقدمونه في قاعة الاستراحة ثم أخرج...ما أعرفه أنني أريد التبرع إن شاءوا في المركز أوصلوه إلى أصحابه أو يرموه، ذلك لا يهمني ، المهم هو إن الفعل يصل إلى الله..."*** .

يقول سالم ***:"...لا أحب أن آخذ و أعطي مع أهل المريض، أحب أن أسأل عند دخولي من الباب عن محتاج للدم دون الدخول في التفاصيل كأن أسأله عن نوع المرض أو أيّ شيء آخر ...أتفادى الوقوع في "الرياء" لأن الفعل موجه إلى الله، و مهما كانت وجهة الدم فآخره سوف يصل إلى إنسان و هذا الإنسان محتاج إليه و هذا هو الأهم في الأمر..."***

من خلال قراءتنا لهذين الخطابين يبدو أنه من بين الأسباب التي تعرض البعض الآخر من المبحوثين من التعامل مع أهالي المرضى و الخاصة بعدم الرغبة في لفت الانتباه و الاقتصار على القيام بالفعل ، و كذلك أنه عند التعرف على أهل المريض كأنه نوع من التشهير بالفعل و بدل أن يكتسب أجرا قد يكتسب ذنبا، فعلى حدّ أقوال السيد سالم الذي أدرج لفظة **"الرياء"** و التي يقصد منها ؛ هو الفعل الذي يقوم به صاحبه على أنه فعل موجه لله و في ذات الوقت يلفت نظر الناس إليه على أنه شخص خيّر. بحسب هذا المبحوث الفعل الخيّر يجب أن يقوم به الشخص بتكتم و عكس ذلك يفقد الفعل معناه و يبعده عن غايته القيّمة.

إن الذين يتعرفون على أهل المرضى لا يجمعهم بهم أية صلة لا من قريب و لا من بعيد، و العلاقة تنحصر فقط ضمن ذلك الحين؛ أي لا استمرارية تواصل بين المتبرع و المستفيد بعد ذلك، غير أن اشتمال التبرعات كذلك على شبكات اجتماعية جوارية للمتبرعين كالجيران و الأصدقاء، اختبار هذا المفهوم يكون أوضح و يظهر بإبراز المكانة التي يكتسبها المتبرع في وسطه الاجتماعي و نأخذ كمثال على ذلك السيدة (ك) التي تبرعت بوساطة الجمعية الخيرية التي تلقت الطلب الخاص بالحاجة إلى متبرع، و بتلبية الطلب من قبلها فأن ذلك من شأنه إن يقوي علاقة التعاون بينها و بين الجمعية التي هي في الأصل تعيلها في بعض الأحيان .

خاصية اللاتعارف هامة بالنظر لميزتها المتعلقة بالحفاظ على خصوصية المتبرعين ما أشار إليه **" Titmuss"** في حالة وقوع تعارف بين المتبرع و المستفيد «... سواء المتبرع أو المستفيد سيرفضان المشاركة في هذا المسار لأسباب دينية، إثنية أو سياسية... »[7].لذلك سمى هذا الباحث هذه الفئة **" بجماعة الغرباء" "La communauté d'étrangers"**

و بالنظر إلى الأشخاص الذين يستقبلون الدم في حالة مفككة بعد معالجته كفصل البلازما مثلا ينتهي بتحويل الهبة لمادة كغيرها من المواد العلاجية؛ إنه أشبه بتقديم الدواء، لكن من خلال التعارف الأولي و شمول التبرعات لمقربين و أشخاص معرّفين في العمل أو في شبكات اجتماعية أخرى كالمؤسسات الخيرية، العطاء للغرباء يعبّر كذلك عن هوية الاجتماعية حتى و إن كانت بدرجة أقل.في مجتمعنا و حتى اليوم القاعدة هي كذلك حسب**" Mauss "**« تقديم أي شيء إلى أحد هو تقديم شيء من ذاته »[8].

«... في الهبة إلى مجهولين، قيمة الرابط ضعيفة . قيمة الاستعمال تغلب عليه ؛ لكن قيمة الرابط يمكنها مع ذلك أن تكون ليس فقط حاضرة و إنما كذلك ايجابية كحضورها الرمزي . هذه الهبات يمكن أن يكون لديها قيمة ، التي تنعش و تنشط المستقبلين يقولون أن هناك أناس آخرون الذين يفكرون بهم و هكذا يتبرعون بدورهم....و من جانب آخر، حتى و إن كانت الهبة بين مجهولين تتمحور عادة خارج الروابط الاجتماعية الملموسة بين المتبرع و المستفيد فهي تتغذى خاصة من الروابط الرمزية، و النزعة إلى شخصنة الرابط هي كذلك حاضرة و الذي يظهر من خلال الأهمية التي تولى إلى اختيار المستفيد...»[9]

[7]Titmuss ;R, « The gift relationship from human blood to social policy » op .cit, p.74.
[8]Cité par Godbout,J « L'esprit du don » op.cit P.189.
[9] Titmuss ,R; «The gift relationship: from de human blood to social policy» op. cit, p.73.

ارتباط الفعل على هيئة تبادل رمزي بين الأشخاص هو الذي يحدد قيمة الرابط في الهبة خاصيتها التي تحدث عنها عندما نتحدث عن الهبة لأشخاص من مجهولين، فإن قيمة الرابط ضعيفة، و إنما ترجع القيمة للشيء المراد استعماله، الهبة المجهولة تتمحور عادة خارج الروابط الاجتماعية الملموسة بين المتبرع و المستفيد فهي تتغذى خاصة بالرابط الرمزي وهدا كذلك لا يمنع من الميل إلى شخصنة **" personnalisation"** الرابط و التي تظهر بعدة طرق مثلا : الأهمية المتعلقة باختيار المتلقي .

3-2 شباك الاستقبال:

يقع عند المدخل يمينا مقابل لقاعة الإنتظار، يظهر شباك زجاجي خاص بالاستقبال. من المفروض أنه أول من يتعامل معه المتبرع، ووظيفته تكمن في ملأ الإستمارة الخاصة بالمتبرع. هي استمارة مبوبة إلى ثلاث أقسام: القسم الأول؛ يملئ بالمعلومات الخاصة بالمتبرع عند استقباله. القسم الثاني تملأ خلال المرور بالطبيب لإجراء الفحص الطبي العام. الثالث في قاعة الاقتطاع أين يتم تسجيل التبرع .

خلال الفترة التي أجريت فيها تقنية الملاحظة المباشرة على مستوى قاعة الانتظار، لاحظت أن العاملة في الاستقبال تقضي معظم وقتها في التكلم عبر الهاتف النقال و أكثرها تبادل أطراف الحديث مع زميلة معها، و يتزامن هذا مع ملئها للإستمارات المتعلقة بالمتبرعين، فبالزيادة على طول مدة الانتظار التي قد تصل إلى **20** دقيقة بين الإستقبال حتى الدخول لقاعة بالإقتطاع يكثر التذمر من قبل الأشخاص الذين تركوا أشغالهم.

هناك أيضا الأخطاء سواء في الاسم أو سّن المتبرع؛ وقد حدث وأن أخطأت لشخص جالس بجانبي في تاريخ ميلاده وقد علّق على ذلك متحسّرا ***:"...كيف تعمل وتتحدث في آن واحد هذه لامبالاة، وعدم انضباط في العمل إذا كان مجرد تاريخ يخطئون في كتابته، فما هو الحال بالنسبة لما هو أصعب، الله يعلم كيف يسيّرون المركز...؟***

الإستقبال هو بمثابة الواجهة التي تعكس عمل المركز، و كيفية استقبال المتبرعين هي التي ترهن و باحتمال كبير عودة الأشخاص المقبلين على التبرع مرة أخر لكن من تلقاء أننفسهم.

يقول عبد القادر ***:"...هناك تحسن في الاستقبال مقارنة بالمرات الماضية، يعطوك ورقة فيها رقم التبرع ، هكذا ينظم الطابور بالدور و يساعد كثيرا في تقليص وقت الإنتظار..." .***

يرى المتبرعون في **"الإستقبال"** من بين الأمور الهامة والذي يجب مراعاته الإستقبال هو أول المتعاملين مع المتبرعين، فدوره لا يكمن فقط في ملأ الإستمارات وإنّما في توجيه المتبرعين وإرشادهم خاصة عندما يتعلق الأمر بالمتبرعين لأول مرة.

إذا كان الإستقبال جيد سيعود المتبرعون ثانية للتبرع وإذا كان دون المستوى المطلوب الذي ينتظره المقبلون على التبرع بالدم، يتخذون من ذلك تبريرا لعدم الإقبال على الفعل.

2-4قاعة الفحص الطبي:

تقع عند جانب شباك الإستقبال، بحيث يمرّ المتبرع للفحص الطبي العام (قياس الوزن، قياس تركيز خضاب الدم) و كذلك يطرح الطبيب بعض الأسئلة : مثلا إذا ما يعاني المتبرع من بعض الأمراض المزمنة كالسكري، القلب وغيرها وإذا ما خضع لعملية جراحية في مدة لا تقل عن السنة، و هل يتناول بعض المضادات الحيوية أو الأسبرين و عن آخر تبرع كان له إذا تبرع من قبل.

وبهذه المعاينة التي يرى الطبيب أنها كافية و التي يقرّر من خلالها إذا ما كان الشخص مؤهلا للإقتطاع الدّم الكامل أم لا.

2-5قاعة الإقتطاع:

تقع محاذية لقاعة الانتظار[10]، مباشرة بعد مرور المتبرع بالإجراءات الإدارية والفحص الطبي يتجه إلى القاعة.

وهي جزأين : الجزء الخاص بالرجال والجزء الخاص بالنساء ويفصل بينهما حائط. القاعة مجهزة بأسرّة قديمة نوعا ما (**05** أسرّة للرجال و**03** للنساء، وسرير مخصّص لإقتطاع الدم **بجهاز الإفريز Ephérése** . الأمر الذي يجعلهم يفضلون التبرع بالمركز عن تبرعهم في الشاحنة الخاصة بجمع تبرعات الدّم، و بالمركز يلحظون الظروف الصحية المهيأة للعملية.

كل صباح يقوم الممرضون (هناك طاقمان يعملان بالتناوب) بتحضير الأكياس الخاصة بوحدات الدّم، ويعقمون الأدوات التي يستعملونها بماء جافيل (محلول كلور الماء) الذي تنتشر رائحته في كل أنحاء القاعة وحتى الممرضين تريح منهم رائحة ماء جافيل؛ كدليل على النظافة وتطهر المكان من الجراثيم. ولأن لجانب الحماية الصحية خلال عملية اقتطاع الدم هامة لدى المتبرعين.

يقول عبد القادر بهذا الصدد:**"...أفضل المركز للتبرع ، لآن هنا أمان أكثر ، هنا لا تخوف من الأمراض المتنقلة عبر الدم فالأدوات المستعملة معقمة والإبرة جديدة لم تستعمل، ورائحة ماء جافيل تعمّ المكان عكس الشاحنة هي راكنة على الطريق ، الغبار ، الأوساخ و ضيقة بالداخل ، *المركز أكثر أمانا أظنه المكان الأنسب هنا، إذا حدث شعرت بالغثيان أو بالتعب فلا مشكل...عكس الشاحنة هناك احتمال أن تتعب بعد فترة من مغادرتك الشاحنة، فلقد تجد نفسك إلا وأنت ملقا على الرصيف...على المتبرع أن يقصد المكان الذي يشعر فيه براحة وأمان أكثر..."* .**

[10] يجري مخبر المركز على كل عينة **مسح مخبري للدم** ، للتأكد من سلامة الدّم وخلوه من الأمراض. ويتم الكشف بالنسبة للدم الكامل على الأمراض الآتية: **الزهري- الملاريا-الإلتهاب الكبدي الفيروسي "ب"و"س" –السيدا**.
Syphilis – HTV1 – Hépatite C – Hépatite B – Hiv(SIDA

يضيف كذلك:**"... بالمركز يخرج الممرض الإبرة والكيس أمام أعيننا فأين يكون التخوف إلاّ إذا كان الإنسان مصاب بأي مرض خارج إطار التبرع..."**.

تقول ليلى ***:"...التبرع بالمركز أفضل من الشاحنة ، المركز نظيف و مستور عن العيان ، و القاعة واسعة ترتاح فيها أكثر ، الشاحنة يتبرع فيها الأشخاص الذين يكونون بعيدين عن المركز أو لا يملكون وقتا طويلا للذهاب إلى المركز..."***

إن للظروف الصحية التي يتوفر عليها المركز أهمية لدى المتبرع بحيث يركّز من البداية على النظافة ، أولا النظافة الخاصة بالمكان هي نظره حماية من الأمراض و ثانيا مراقبة الأدوات المستخدمة للغرض أهميتها تكمن في كونها حاملة لأمراض متنقلة عبر الدم خطيرة تؤدي إلى الموت فتجدهم عندما يستلقون على الأسرّة تلحظهم يرقبون الأكياس التي تتصل بالإبرة؛ هذه الأكياس تحتوي على مادة مانعة للتّجلط و متصلة بإبرة معقمة. و للتأكد من أنها لم تستعمل من قبل ينظرون إليها، حتى أنهم يراقبون إذا ما يرتدي الممرضون قفازات خاصة للوقاية.

بالتّمعن في هذه الأفكار التي يحملها المتبرعون على الرّغم من تكرارهم للعملية عدّة مرات إلاّ أنهم مازالوا غير عارفين الإجراءات الوقائية المتخذة قبل أيّ عملية إقتطاع ، ندرك أن السبب في ذلك يعود إلى دور المراكز في التوضيح ، إذ أن المتبرعون قليلا ما يتلقون توجيهات أو حتى شروحا عامة حول عملية الإقتطاع و ذلك بتوضيح؛ أن الأمراض قد توجد في دم المتبرع و التخوف على المستقبل منه ، و تحصل مثل هذه الأمور فقط عندما يحدث خطأ خلال المسح المخبري للدم و لأن الأدوات أحادية الاستعمال لا خوف على المتبرع من الأمراض، بالزيادة أن الذين يتبرعون يجب أن تتوفر فيهم شروط التبرع قبل أن يدخلوا إلى قاعة الإقتطاع.

لكن عندما تكون القاعة مكتظة، ينهمك الممرضون بالذهاب و الإياب بين الأسرّة ويقومون بعملهم بطريقة آلية **(** نظرا للخبرة التي يمتلكونها**)** ومن حين لآخر يعملون ويتبادلون أطراف الحديث فيما بينهم. وحدث وانضم إلى الفريق العامل في القاعة طلبة متربصون؛ لكن

المتبرعين رفضوا أن يقوم طالب متربص بعملية الإقتطاع خاصة عند غرز الإبرة في الشريان.

وحدث مرة كذلك أن تحججت متبرعة قائلة**:" جئت هنا لفعل الخير و لا أريد أن أصبح في شيء آخر"... ليجاوبها أحد الممرضين:"... كيف لهؤلاء المتربصين أن يصبحوا أصحاب خبرة إذا لم يتدربوا على ذلك..."**.

ولم تمرّ فترة طويلة حتى أصيبت فتاة في **21** سنة من عمرها بالدوار (بالدوخة) و التقيؤ **(**الغثيان**)** بعد وخزها بالإبرة مباشرة، قبلها أبدت تخوف كبير من الإبرة ووخزت مباشرة قبل أن يزيلوا عنها الخوف وامتلأ المكان بالقيء وعملت عاملة النظافة على تنظيف المكان وهي في حالة من الاحتجاج والتّذمر.

في قاعة الاقتطاع لا تخلو سلوكيات المتبرعين المتوافدين للتبرع من النّقد، خاصة عندما يتأخرون عن مشاغلهم وطول فترة انتظارهم في قاعة الانتظار**(**خاصة في فترة الصباح**)** كأن يستريحوا مدة لا تقل عن **05** دقائق في أسرّتهم بعد الإقتطاع على الرغم من توجيه أحد الممرضين لسلبية ذلك، لتبدأ أحد الممرضات بالتذمر***:" ...لا يستمعون ولا يأخذون بالنصائح ثم يلقون اللوم علينا، كأننا نحن من سبّب الدوار أو التعب...وأننا لا مبالون و لا نقوم بعملنا...علينا أن نعيد ونكرر...لا يفهمون..."***.

حتى إذا أراد المتبرع الحصول على بطاقة المتبرع يطلب منه العودة في وقت لاحق لسبب من الأسباب كغياب العامل المسؤول عن تحضير البطاقات. وخلال فترات يزدحم المكان المتبرعون خاصة منهم لأول مرة لا يحاطون علما بوجود قاعة للاستراحة وتناول الوجبة المقدمة من طرف المركز.

لا يتوفر المركز إلا على جهاز**"Ephérése» واحد** هذا الجهاز المخصّص لفصل مكونات الدم لفائدة مرضى سرطان الدّم، وهو لا يغطي الطلب المتزايد.

بالإضافة إلى إشراف ممرض واحد هو الوحيد المسؤول عليه والدي يحسن تشغيله يعمل يوميا على عكس الممرضين الآخرين على حدّ أقواله. تجده يشرح بطرق مفصلة عمل الجهاز، تعامله مع المتبرعين بطريقة مميزة، خلال الفترة التي يبقى المتبرع متصلا بأنابيب رفيعة بلاستيكية تتصل بالجهاز مدة لا تقل عن ساعة ونصف، يكون فيها الشخص رجل كان أو امرأة مستلقيا على السرير المهيأ لذلك، ومع تبادل أطراف الحديث بين المتبرع و الممرض المشرف على الجهاز يحرص من وقت إلى آخر على مراقبة عمل الجهاز مدة كلّ **10** إلى **15** دقيقة، يقدم فيها عصير الفواكه من النوع الجيد والشكولاطة والماء المعدني الذي يحضره المتبرع معه.

معظم إن لم نقل كل المتبرعين من هذا النوع يأتون بناءا على طلب من معارف أهل المريض أو من أهل المريض أنفسهم، ونادرا ما يأتي متبرع شبه منتظم من ذات نفسه ليتبرع نظرا للوقت الطويل الذي يتطلبه البقاء في المركز، وكذا على المتبرع أن يقصد المرضى بأماكن تواجدهم (أي أن يكون على اتصال بهم) خاصة المتواجدون بمستشفى الأورام السرطانية "الأمير عبد القادر" الكائن بمنطقة بالحاسي بضواحي ولاية "وهران"

لذلك قليل من يتكبد شخص كل هذا العناء دون طلب مسبّق. قد يتطلب الوقت يومين على الأقل بين معرفة المستفيد، وانتظار ظهور نتائج **FNS** وانتظار الدور، التقييد بالوقت الذي يتطلبه الاقتطاع. للوقت دور هام وعامل مؤثر في مثل هذا النوع من التبرع. مع العلم أن معظم الذين يخضعون له هم من فئة الرجال ويرجع ذلك للبنية الجسدية لديهم.

هناك من المتبرعين من يفضل التبرع عبر الجهاز نظرا للفائدة المتعلقة التبرع لشخص واضح بالنسبة لهم و الاستفادة من تحاليل يطمئنون فيها على حالتهم الصحية على الرغم من طول المدة التي يبقون فيها متصلين بالجهاز.

- قاعة الإقتطاع هي كذلك قبلة للمعارف الذين يدخلون مباشرة دون انتظار يكفي فقط أن تسأل عن فلان هناك على أنك صديق مقرب أو من أقارب الممرضين، ليدخل ويتمكن من إجراء تحاليل إذا ما توفرت في المركز أو يرسلوهم باسمهم إلى مصالح أخرى في المستشفى.

- وقد يقصد أحد الأصدقاء بعض الممرضين المقربين وبوشوشة بوصية إذا ما كان بإمكانه أن يوفر الدّم لزوجة أخيه التي ستجري عملية ولادة قيصرية دون عناء أو متاعب في توفير الدّم. فتجد الممرض يجيبه بكل حفاوة " لا مشكل...الأمر بسيط..." ليطلب منه هو الآخر أن يقيله بسيارته وقت الغداء إلى البنك بحجة أن سيارته راكنة في مكان يصعب عليه إخراجها.

المركز هو كذلك مكان للتعارف و تشكيل علاقات، لتقديم الخدمات الخاصة و المساومات. هذه المظاهر التي تتميز بعلاقة الأخذ والرّد التي تتشكل بفعل **"الرأسمال التعارفي"**الهدف منه تشكيل علاقة نفعية «...إن النزعة الاجتماعية والتي تشكل نسيج بذاته، التعايش الابتدائي تمثل المكان الواقعي الرمزي أم الخيالي، أين يدخل الشخص في تفاعل مباشر أو ملموس، أو هو المكان للتبادل و للتعارف المباشر أو الملموس على أن يكون فعليّ (أي علاقة وجه لوجه) أو ببساطة افتراضي...»[11]

[11] Henrion, A ; Revue du M.A.U.SS « Le don de Sang », 2007,P.11.

ضمن هذه التفاعلات يدخل السائل الحيوي في مساومات أو علاقات تبادلية أطرافه غير أصحابه قد يحصل عليه البعض بدون مشقة، و قد يستغل هذا الفضاء في توسيع دائرة التعارف و تقوية الصدقات ذات البعد النّفعي.

6-2 قاعة الاستراحة :

يفصل باب بين قاعة الاقتطاع و قاعة الاستراحة، في هذه القاعة المهيأة على شكل مقهى يستفيد المتبرع وحتى موظفي المركز من خدمة الأطعمة المقدمة، والتي يمكن أن ندرجها ضمن أطعمة طاقوية لاحتوائها على عنصر **"الغلوكوز"** بكثرة، وتتكون الوجبة من : فنجان قهوة مخففة نوعا ما، بضع حبات بسكويت، مربى علبة عصير، وقد يتخلف العصير في هذه اللائحة بعض الأحيان أو يستبدل بالياغورت.

يشرف على قاعة الاستراحة عاملتين هما في الأصل عاملتا نظافة إلاّ أنهما تشرفان بالتناوب على خدمة المتبرعين. وكذا هما المسؤولتان على العناية بنظافة المكان، وحتى هذه القاعة لا تخلو من التذمر و الشكوى وخدمة المتوافدين من متبرعين بتثاقل ملحوظ بحجة كثرة العمل والضغط عليهما من طرف رئيس المركز.

وقد لاحظنا انقطاع شبه تام بين واحدة منهن وبين الفريق العامل وكثيرا ما تنشب بينهم مناوشات كلامية، لكن كثرة إلحاحها والتدخل في شؤون غيرها كان سبب الكافي في معاملتها بهذا الكيف وعلى مرأى من المتبرعين الذين لا يجدون ما يقولونه، فيكتفون بالنّظر على أنه أمر عادي فلا إدارة بدون شجارات على حد تعبير أحد المتبرعين.

أغلب المتبرعين يتناولون الوجبة، لكن منهم من يخرج من الباب الذي دخل منه أو عبر الباب الخلفي المؤدي إلى مدخل المركز الرئيسي إذا لم يجدوا أحد في قاعة الإستراحة فهذا يعني أن كمية الطعام المخصصة قد نفذت. تتوقف قاعة الاستراحة عن الخدمة بعد الزوال فلا يستفيد أي متبرع من هذه الوجبة، إلاّ إذا قصد المركز صباحا.

يمكن أن نستنتج من خلال هذا العرض أن المركز فضاء لمختلف التفاعلات الاجتماعية التي تنتج عنها مختلف السلوكيات المتضاربة بين المنفعة الخاصة و بين المنفعة العامة و هذا العنصر هو الذي يتحكم في بناء التصورات الخاصة و المشكلة بين المتبرعين و بين الطاقم العامل على السير المفترض أن يكون جيد لعملية التبرع بالدم.

لكن بالنظر إلى قلة التواصل بين الممرضين و المتبرعين يزيد من اتساع الهوّة فيما بينهم؛ من جانب الممرضين في الأغلب لا يقدمون توجيهات سواء أثناء الإقتطاع كشرح فوائد التبرع ومنافعه على جسم الإنسان أو غيرها من التساؤلات التي قد تتبادر بأذهان الأشخاص، فليس كل من يقصد المكان لديه دراية بالتبرع بالدم، للتوجيهات والإرشاد أو تقديم معلومات على سبيل الثقافة دور هام في ترسيخ عملية التبرع بالدّم على أنّها فعل حضاري وسلوك ذو جوانب إيجابية مختلفة و ملاحظته لبعض التصرفات التي قد تنقص من حماسة المتبرعين على التبرع. و لعدم المساهمة الفعلية المباشرة للعاملين في المركز داخل أرضيته يمكن أن نقول أن المركز لا يمارس أيّ تأثير على المتبرع و يكون بذلك دافعا للعودة كلّ مرة للتبرع؛ و لكن للخدمات و في مقدمتها التحاليل و بنسبة أقل الوجبة المقدمة التي يرى فيها المتبرع كنوع من التشجيع كما سنرى خلال الفصل الموالي.

الفصل الثاني:

نظرة المتبرع للمراكز المكفلّة بجمع تبرعات الدم

1-المركز كعامل وسيطي بين المتبرع و المستفيد:

لقد سبق وقلنا أن مراكز حقن الدم تشكل الواسطة بين المتبرعين و المتلقين، بذلك المراكز تمثل المستقبل الأول للتبرعات المتعلقة بالسائل الحيوي، لدى المتبرعين الدم هبة ذات قيمة رمزية واجتماعية وهبته هو بمثابة هبة الحياة، والمستفدين منه من المرضى في المصالح الإستشفائية الموزعة عبر المستشفى يستقبلونه كما يستقبلون أي سائل علاجي كالدواء، لإجراء إداري و مجاني توفره المؤسسة الإستشفائية و التي هي كذلك القائمة على عملية جمع التبرعات. التصورات الخاصة لدى المتبرع حيال التبرع بالدم لم تستبعد المراكز.

التبرع بالدم و دلالاته الرمزية و الإنسانية توحي على أنه ليس هناك شخص قد يعرض عن التبرع بالدم، لكن بحثا منّا على تقديم تفسير للإقبال المتواضع للمتبرعين خاصة المنتظمين منهم؛ السبب الذي من أجله وجهنا نحوه تساؤلاتنا بهذا الصدد. عند ارتفاع عدد المتبرعين المنتظمين هذا يعني أن بنوك الدم لن تعاني عجزا و بذلك تحقق اكتفاء ذاتي و لن تحتاج إلى انتهاج أيّ وسائل استدراج أو إقناع عبر المساجد أو الإذاعة.

كل الخطابات الواردة على لسان المبحوثين حيال الرؤية المتعلقة بالمراكز المكلفة بجمع تبرعات الدم، بيّنت أنها رؤية يسودها الارتياب . فقد يفسرون ذلك في البداية بتخوفهم من الأمراض المتنقلة عبر الدم، لكن ذلك في الواقع ما هو إلا تبريرا تمويهيّا كما سبق و قلنا في المبحث الأول لأن الأدوات المستعملة في عملية اقتطاع الدم أحادية الاستعمال ويتم مراقبتها من قبل المتبرعين وعلى مرآهم .

وثانيا يفترض الخوف عند المتلقين لا المتبرعين لأنهم هم الذين سيحقنون بذلك الدم ليدخل هنا دور المؤسسة أو المراكز التي تتمثل مهمتها في ضمان سلامة الدم وخلوه من الأمراض عن طريق إجراء تحاليل تبين خلوه من أي شوائب أو أمراض أيّ كان نوعها.

لكن تداول بعض المصطلحات كما أسموه بعض المتبرعين " المتاجرة بالدماء البشرية في السوق السوداء" و دخول العامل الوسيطي طرفا رئيسيّا ضمن هذه الرؤية، الأمر الذي خلق هوة " بين المتبرعين و مراكز حقن الدم. و لأن عطاء الدم يستلزم حضور دائم للعنصر الوسيطي فإنه من الصعب علينا في هذا البحث تجاوزه.

سواء تعلق الأمر بهبة الدم أو غيره من الهبات فالمشكل المتعلق بالوسطاء هي معروفة منذ القدم والمتمثلة في الفساد. خلال القرن **(12)" Ramban "** الذي قال في الوسطاء: « ...لا أحد يمد شيء إذا لم يكن متيقنا بكفاءة وإمكانية المسؤولين، والثقة التي يمكن أن توضع فيهم... »[12].

إن المتبرع يرى المؤسسة كتنظيم قانوني دوره كما حددناه سابقا يتمثل في التكفل بعملية الجمع والتوزيع لهذه الهبة لكن بدخول هذه المتغيرات فما هو حجم تأثيرها على المتبرعين؟

و تجدر الإشارة إلى أننا بطرحنا لهذه النقطة لسنا بصدد التأكيد وتفنيد لهذه الرؤية، فهذا لم يدرج ضمن إطار بحثنا إلا أن حضور هذه النقطة كان لها الأثر الواضح على تصورات المتبرعين. لكن يمكن أن نشرح استمرارهم في الفعل لقوة تأثير الأبعاد السالفة الذكر على ممارستهم لذلك تجدهم يلتجئون إلى قاعة الإنتظار ويسألون من هم بحاجة للدم أو يأتون نزولا عند طلب ويفضلون التبرع لأشخاص واضحين، مجسدين أمامهم إذا صحّ التعبير، ذلك الشعور بعدم الثقة قد يأخذ البعض إلى العزوف عن التبرع إذا لم يكن هناك محتاج في القاعة ويفضل العودة في وقت لاحق.

[12] Godbout,j « L'esprit du don » op. cit , p.199.

2- الإشاعة و تأثيرها على تصورات و سلوكات المتبرعين:

2-1الارتياب المتعلق بمسارات الدم:

إن تسرب وتغلغل هذه الأفكار في ذهنيات الأفراد يمكن إرجاعها بالإشاعة؛ «... الإشاعة عند **Allport** و**Postman** الآباء المؤسسين لهذا المجال من البحث، الإشاعة هي:" اقتراح يرتبط بأحداث اليوم، هي موجهة حتى تكون خامة لتتناقل من شخص لآخر عادة من الفم إلى الأذن، دون أن توجد معطيات ملموسة تسمح أن تكون شاهدا لمصداقيتها. وعند **" Knapp"** هي إخبارية موجهة لأن تعالج، تتجاوب دون التحقق منها رسميا "،هذه التعاريف يمكن اختزالها كما يلي :" هي في بداية الأمر عبارة عن معلومة (أو خبر) تحمل عناصر جديدة حول شخص أو حدث يقترن بالحاضر، فهي بذلك تختلف عن الأسطورة التي تتعلق بالماضي، وفي المقام الثاني الإشاعة هي موجهة لأن تعالج ولا تبقى في حالتها الخامّة...الإشاعة هدفها هو الإقناع»[13].

يقول عبد القادر ***:" ... إن التبرع بالدم في الجزائر متواضع، هناك القليل من الأشخاص الذين يأتون لمركز حقن الدم بصورة مستمرة ومن تلقاء أنفسهم ويرجع السبب الرئيسي حسب رأي هو عدم الثقة، فكثيرا ما نسمع من قبل أشخاص قد تعاملوا مع المستشفى خلال عملية جراحية مثلا، أو مريض يخبروننا أن الدم المتبرع به يباع للعيادات الخاصة، فالشك الموجه للعاملين في المراكز هو الذي ينقص من عدد المتبرعين..."***.

[13] Kapfrer ;J, (1987) , « Rumeur » *le plus vieux média du monde*, France, Edition Seuil , pp11-12.

يضيف السيد لخضر: ***" ... أتبرع كل مرة بالمركز الخاص بحقن الدم لعدة أسباب، لأنني على معرفة ببعض العاملين بالمركز ومجمل تبرعاتي كانت بطلب لشخص معين، أفضل أن أكون مستعد في أية لحظة لشخص محتاج مباشرة، فإن حدث وتبرعت في الشاحنة ربما لن أتمكن من التبرع لشخص آخر إلا بعد مرور 3 أشهر، بالإضافة إلى نقص الثقة في الشاحنة، هناك احتمال المتاجرة، هي صورة من صور الاستغلال، صحة هده الأقاويل أو عدم صحتها أنا لن أغامر،أنا لا أثق فيهم تماما..."***.

يحمل المتبرعون في تصوراتهم جملة من المعلومات الخاصة بالتبرع بالدم و التي يسيرون وفقها أي يوجهون سلوكهم بحسبها، و إن كانت عبارة عن معلومات غير مؤكدة لكن ميزتها أنها تُصدق «... إن كان هذا الأمر أو هذه المعلومة واقعية أم لا وكونها غير محقق منها هي بالأحرى خاطئة، غير أن كونها لا تصدر أبدا عن أشخاص مجهولين بل على العكس من قبل أشخاص مقربين...وبما أن الحياة الاجتماعية ترتكز على الثقة : فإننا لا نرى في المبدأ أن آباءنا يبتكرون أو يخترقون إشاعة »....لتتداول الإشاعة في الجسد الاجتماعي والتي لم تؤكد شعبيا من قبل جهات رسمية لها ...»[14].

- إن النظام المعمول به في الجزائر في جمع التبرعات المتعلقة بالسائل الحيوي تقر على مجانية التبرع وكذلك مجانية الحصول عليه من قبل المرضى، إلاّ أن هناك من المتبرعين قد ورد منه عكس ذلك.

يقول السيد ميلود ***:" ...في العيادات الخاصة لا يستفيد المريض من الدم مجانا فخلال تدخل جراحي يزود المريض بالدم في حينه لكن هذا الدم يدخل تكاليفه ضمن الخدمات التي تقدمها العيادة الخاصة فهذا يعني أنه يشتريه، بالرغم من أننا نعلم أن مصدره الأول أي من المتبرع إلى الوسيط كان بالمجان، وهل نحن أغبياء حتى نصدق أن المستشفى و المراكز تزود العيادات الخاصة بالدم مجانا...غير معقول...!!!"***.

[14] Kapfrer ;J « Rumeurs »op. cit pp 21-25.

يسترسل السيد ميلود في حديثه ***:" ...قد أعرضّ صديقيّ للمتاعب لقد خرجا من الثكنة العسكرية سرا ....وقد طلب منا بالمركز العودة مساءا لأسباب مجهولة...لكن وضع الفتاة صعب نوعا ما ويلزم أن تزود بالصفائح في أقرب وقت...وضعت أمامنا عراقيل لا نفهم أصلها من فصلها "لم أفهم هل يريد النقود حتى يقوم بعمله؟... ثم يتحجج لي بأن الشريان في يدي لا يظهر...كيف لا يظهر وأنا تقريبا أتبرع كل 3 أشهر وماذا عن صديقيّ؟ إنها مبررات وعراقيل لا املك لها إسم سوى " الإرهاب الإداري" عدم اكتراث ولامبالات...الأغنياء و أصحاب المعرفة لا يجدون أي مشكل في الحصول على الدم، لكن الفقراء يصعب عليهم كثيرا خاصة في مثل هذه الحالات من الأمراض... و إن وجدوا من يمدهم بالدم فأنت تصطدم بجدار اسمه العرقلة (في وقت لاحق علمنا من السيد ميلود أن أهل الفتاة حصلوا على الصفائح من مركز حقن الدم لولاية مستغانم بعد 3أيام...).***

-«... فمن كتاب **Richard Titmuss** والمتضمن معارضته لمختلف النظم السارية و المعمول بها في بعض الدول الأوربية و الولايات المتحدة الأمريكية، بنظرهم الدم يجمع، يوزع، يستهلك، هو بمثابة مصدر اقتصادي خلاله يمثل المتبرع دورا هاما: بالنظر إلى الارتفاع السريع للاستهلاك الطبي للدم وكذلك حساسية السائل بحد ذاته (يحفظ لمدة محددة)، وبالموازاة الكمية المحددة التي يمكن أن يقدمها المتبرع لذلك تسعى بعض المؤسسات إلى رفع عدد المتبرعين حتى يتماشى العرض وارتفاع المنتظم للطلب من الجانب الكيفي يجب انتقاء المتبرعين للأخذ بعين الاعتبار مخاطر انتقال الأمراض الفيروسية الخطيرة في طليعتها **(HIV)**، هذه الدول التي تعتمد في بعض مؤسساتها نظام التطوع وعلى التبرع المأجور. ليدخل السائل ضمن القطاع التجاري كأي منتوج استهلاكي ومورد صناعي نفعي دو مكسب هدفه تحضير اكبر قدر من السائل المعالج وحسب المعايير الصحية.

تحصل هذه المؤسسات على الدم الكامل ثم تقوم بتجزيئه حسب مشتقاته وإجراء التحاليل اللازمة ثم تصدره. ألمانيا مثلا: حققت اكتفاءها من الدم الكامل، لكن هناك نقص في مكون البلازما والعنصر**(VIII،08)** الموجه لمرضى الهيموفيليا، إذن تقوم باستيرادها من دول أنظمتها ليست مؤسسة على"التطوع" لكن هي ضد التبرع بالدم المأجور. هده المؤسسات التي تعمل في الضوء، حتى وإن تعرضت للنقد أو الرفض هي موجودة وتسير ضمن ميكانيزمات السوق العالمية، واضعين في الواجهة الجودة، الضمانة العالية في النقاء...».[15]

لكن يختلف الوضع من الجهات الرسمية في الجزائر ولدى أغلبية الدول الإسلامية، فالصدقة لا تكون إلا صدقة، التجارة بالدم أمر غير وارد ، لكن الأمر لا يتعلق بالمتبرع وإنما بالوسيط الذي تحوم حوله الشبهات حتى وإن لم تكن مؤكدة، يقول السيد ميلود:***"... قرأنا كثيرا في الجرائد عن الفضائح و التجاوزات داخل مستشفياتنا، عمليات نهب وسرقة للأدوية، الأغذية الموجهة للمرضى، الأفرشة، وغيرها فكيف لا نصدّق أن الدم يباع للقطاع الخاص الذي هو بدوره يبيعه كأنه دواء للمرضى، الدم يدخل ضمن تكاليف العلاج بها فقد وصل الثمن إلى 2500 دينار جزائري للوحدة الواحدة في العيادات الخاصة، بالرغم أنه في الأصل قدم بالمجان من طرف متبرعين ذهبوا الى المراكز والتبرع لفائدة المرضى..."***.

- يقول لخضر:***"... هناك نقص في عدد المتبرعين الدائمين، أكثرها عائلية...وأظن أن السبب الرئيسي يرجع إلى دور التوعية سواء في المساجد، النداءات المستمرة من قبل أهالي المرضى عبر الراديو وكذا التجول بالشاحنات في أماكن بعيدة عن المستشفى، ويعود السبب الثاني إلى كثرة الإشاعات وقلة تكذيبها من قبل المسؤولين، الإقبال سيتزايد لو أنّ المتبرعون يكونون على علم إلى من وجه تبرعهم..."***.

[15] Steiner ,Ph ; « Don de sang et don d'organes »2001, Revue française de sociologie –Avril. Juin pp 357-372.

وبين مجانية التبرع ومفهوم المتاجرة الغير الشرعية هي رؤية سلبية أجمع عليها أغلب المبحوثين معهم، حسب المثل الشعبي" **لا دخان بدون نار**" فلو لم تحدث، أو لم تكن موجودة لما اكتسحت أفكار العامة من الأفراد، بالإضافة إلى تردد المؤسسات المعنية في إغلاق الثغرات، فالحملات التطوعية والهادفة إلى توعية عامة الشعب في القيام والمواظبة على هذا السلوك الحضاري حملتها تركز على توضيح الجانب الديني والصحي والاجتماعي للتبرع بالدم، والخطابات تخلو من عامل تكريس الثقة وتفنيد الإشاعات بين المؤسسات والمواطن، أفراد المجتمع لا يتخوفون من الأمراض فإلتباس أكثر يخص هذه النقطة المتمثلة في تعميق عامل الثقة بين الأطراف المتعاملين.

إن الثقة هي كذلك حالة وسيطية بين المعرفة والغير معرفة بالآخر[16] فإن فقدت هذه الثقة تحت أي تأثير سواء كان رسميا أو إشاعة يدخل الفرد في حالة من الشك والارتياب. غير أن هذا التأثير ذو نسبة نظرا لوجود فئة مداومة على التبرع حتى وإن تقدموا للمركز وتبرعوا ثم غادروا المركز، هذه الفئة تعتبر التبرع بالدم هبة ستصل في نهاية المطاف إلى المعنيين بالأمر، والأهم أن الفعل سيلقى ثوابه.

في هذا الصدد تقول السيدة صليحة:***" .... لا يهمني أن يباع الدم للعيادات الخاصة حتى وإن رمي بالنسبة لي "النية" هي الأهم أسأل الصحة والأجر، على الفعل أما هم فجزائهم عند الله..." .***

[16] Walter ,P ;(2008),« Eloge de la confiance »,France, édit. Belin, p.20.

خاصية المجانية في التبرع وكذا الحصول عليه يفترض أن يكون كذلك، «... فهبة الدم صورة حضارية مختلفة على ما شهدته المجتمعات التقليدية في الهبة التي تفتقد إلى هذه الخاصية، بحيث؛ التبرع المجاني للدم ولأشخاص مجهولين لا يتضمن لا إلزام عقائدي أو قانوني ولا محددات اجتماعية ولا سلطة أو ضغوطات أو إكراه، لا شعور بالدّين أو امتنان إلزامي... »[17] فخاصية المجانية تشرح واقع الرغبة « ...الرغبة في العطاء الذي يرتبط بالفعل بحد ذاته وليس عنصرا مضافا له، هو مرتبط بالحرية ودليل على غياب إجباري، هو علامة للرابط الاجتماعي... »[18].

[17] Titmuss,R;« The gift relationship »,op. cit p.239.

[18] Godbout,G « L'esprit du don » op. cit p.26.

2-2 المتبرع ورؤيته للوجبة المقدمة من طرف المركز :

يستفيد المتبرعون المتوافدين على المركز من وجبة (غذائية)، فبعد أن يمرّ بالمراحل السابق وأن تحدثنا عنها في قاعة الاستراحة **le foyer** يتناول هناك المتبرع الوجبة المقدمة التطرق إلى هذه الخدمة لأن لهذا العامل زاوية تشجيعية للأشخاص للذهاب للمركز لكن من باب الإكرام .

- الوجبة لا تهم كثيرا المتبرعين بقدر الفعل ذاته، لكن في ذات الوقت يجدونه من باب الإلزام على المركز أن يقدم وجبة غذائية وقد أجمع معظم المبحوثين معهم على إن الوجبة المقدمة متواضعة جدا وعلاوة على دلك فالوجبة تقدم فقط خلال الفترة الصباحية وفي حدود الواحدة فما فوق بعد الزوال، يتوقف المركز عن تقديمها.

يقول عبد القادر ***:"...هناك قلة توجيه، عندما قصدت المكان أو المدة أي تبرعي الثاني (أول تبرع كان في الشاحنة) لم أكن أعلم أن هناك مكان مخصص للاستراحة وتناول وجبة هي وجبة بسيطة..لكن لم يعلموني بالرغم من انه من واجبهم، فتبرعت وخرجت مباشرة، ولا أحد يسأل عليك..أتناول شيئا من المطاعم المجاورة للمستشفى" نزيد من جيبي" ...لا تهمني وجبتهم أتناول الطعام جيدا قبل أن آتي إلى المركز...هكذا أضمن أن أكون بخير..." .***

يضيف عبد القادر***:" ... الوجبة تكفيني حتى أخرج من باب المركز..أن لا أعطيها أي أهمية كوني أعمل في مذبحة وتقريبا أتناول اللحم والحمد لله..لكن ليس الناس كلهم مثلي...إن اللحم باهض الثمن وليس في متناول الجميع..لذلك لو تحسن المراكز من الوجبة...الناس ليست جائعة حتى تأتي إلى هنا من أجل أن تأكل..لكن علينا أن نتكلم الصدق لو أن الوجبة التي يقدمها المركز ستأتي الناس لتعطي الدم..في أذهانهم الدولة هي التي تمول المركز بالطعام والمتبرع من حقه أن يشعر بقيمته..." .***

عندما يكتظ المكان بالمتبرعين لا ينتبه العاملون في إرشاد الأشخاص إلى قاعة الاستراحة، وإذا قيل لهم اذهبوا لتستريحوا وتناول الوجبة، يستغربون لهده الوجبة التي لم تكن متوقعة هي تقريبا **100%** سكريات.

تقول الأنسة سعاد ***:"...عندما تبرعت أول مرة دخلت إلى قاعة الاستراحة، وعندما قدموا لي البسكويت بالقهوة قليل من المربى...بدأت أستذكر أنه عليّ أن أتناول شيئا آخر عندما اخرج...لأن لدي أشغال أخرى أقوم بها هنا في وسط ولاية وهران وبما أنني أسكن في الضواحي وسأركب عدة حافلات نقل أخاف أن يغمى عليّ لذلك أن أتناول طعاما و لا أكتفي بهذه الوجبة..."***.

يقول السيد يوسف ***:"... هناك دور كبير للوجبة هي تجذب المتبرعين هي ك Le Bonus خاصة الذين يتبرعون عبر الجهاز الخاص بفصل مكونات الدم، هم يحضرون معهم : عصير من النوع الجيد وشكولاطة وقارورة ماء أيفري وربما أكثر، قد يكون هدا نوعا ما مكلف، لماذا ليس المركز هو الذي يتكفل بذلك؟؟...يشعر المتبرع بأهميته، إذا استضافوه جيدا ذلك يكون سببا في دوامه على التبرع..."***.

إذا تمكنت المراكز من تحسين هذا الجانب، الذي يرى فيه المتبرعون عامل محفز في تشجيعهم على التبرع المنتظم، فلن يضطروا في كل مرة للقيام بحملات توعية مكثفة لاستدراج الأشخاص على التبرع ولا فرغت بنوك الدم في حاجتها من السائل الحيوي، ولا عانى المرضى من عراقيل من صعوبة الحصول على الدم.

يقول السيد محمد **:"...لم تقدم لي القهوة ولا حبات البسكويت بحجة أنها نفذت...الاستقبال متواضع هنا بوهران...عصير برتقال فقط، وسعته لا يملأ حتى كأس..."**

ثم قال لصديقه***:" ... عندما سنخرج من هنا نذهب للمطعم المجاور لا أظن أن هدا العصير سيقويني حتى الوصول إلى تغنيف. اليوم جئت ولدي مشاغل في وهران...وقد قال لي صديقي أن أخاه هنا بالمستشفى وهو يحتاج للدم فجئت لذلك لم أهيأ نفسي للتبرع يجب أن أزود نفسي بالطاقة قبل أن أتعب وطريق العودة مازال طويلا..."***.

لا نعلم ماذا يُقدم في المراكز الأخرى من الوطن في الوجبة لكن ما لمسناه من خطابات المتبرعين أن المقصد ليس الوجبة بحد ذاتها، و عندما يتعلق الأمر بفكرة إن المستشفى يمول من قبل وزارة الصحة، لكن التلاعبات التي تحدث داخل المستشفيات هي التي تعكس الصورة التي هي عليها الآن. العاملين في المستشفى من هواة السرقة حتى من كبار المسؤولين الذين يتلاعبون بالدم وصولا إلى عاملات النظافة اللواتي يكتفين بعلب العصير وحبات البسكويت.

يقول السيد ميلود: ***"...هناك نقص رقابة،" ماكاش لي يخدم في العسل ومايدوقش " الكل يسرق ، كيف يقدمون تلك الوجبة في الصباح و لا تُقدم بعد الزوال، كيف يقدمونها في المركز و في الشاحنة لا ...يسرقون حتى جافيل وأومو...الناس تأتي و تأتي لكن يوما ستيأس إلاّ من هذه الوضعية التي لم يعملوا على تغييرها ..."***.

يسترسل السيد ميلود: ***"... مرضى السرطان هم محتاجون إلى الدم و الدواء ...ولايحتاجون إلى مهرج وحلوى، بدأوا في بناء مركز لحقن الدم عندهم بمستشفى مرضى السرطان في "الحاسي " لكن المشروع توقف ... قال المسؤولون الكبار بأن التمويل متوقف ، الجمعية تمد والناس تتصدق والدولة تمد أين ذهب كل هذا...؟؟***

هي أسئلة لسنا بصدد الإجابة عنها، لكنها طرحها ضروري في بحثنا، العامل الوسيطي دوره يكمن في بناء علاقة ثقة تقربه من المواطن، وبما أن الأسئلة تبقى مبهمة ولا تجد من يكذبها أو يعطي تقارير تتعلق بمصداقيتها تجد الأفراد كثيري الإرتياب عندما يتعلق الأمر بالحديث عن رؤيتهم للمراكز المسؤولة عن وجهة سائلهم الجسدي بصورة خاصة والمستشفى بصورة عامة.

خاتمة

بالاستناد على قاعدة تحقيق ميداني ذو طبيعة سوسيو- انثروبولوجية ، و الذي أجري في عدة مواضع تراوحت بين مكان العمل ، مكان السكن و مركز حقن الدم ، حيث مثلت هذه الأماكن الميدان الخصب للموضوع و الذي يتمحور حول الدوافع المتعلقة بالتبرع بالدم الشبه المنتظم .

و بين فضائين؛ الأول الخاص ببعض أحداث الحياة اليومية التي عاشها المتبرع و التصورات التي يحملها اتجاه التبرع و ثانيا الفضاء المؤسساتي و التي استنتجنا في الأخير أنهما في تناقض و بفضل الملاحظة الميدانية ، تمكّنا من أن نقيم جسرا نربط من خلاله التصورات مع أسباب الممارسة ؛ تصورات؛ ذات مرجعية تقليدية و ممارسة كصورة عن و إشراك المتبرع بالدم جسده الفيزيائي و الاجتماعي مع الجسد الطبي لأن عنصرا منه سيمرّ عبر المخبر ليحقن في جسد غيره ؛ هذه الروابط التي استنباطها ضمن الانثروبولوجيا النوعية و التي سمحت لنا بتتبع مسارات الحياة بالنسبة للأشخاص المبحوثين و كيف لأفكارهم أن تدخل ضمن سلوكهم و الخاص بالتبرع حاولنا من خلال هذا العمل أن نظهر أنّ عملية التبرع بالدم **"هبة" و فعل اجتماعي كلّي** و تناول هذا الموضوع سمح لنا بإعطاء نظرة و تقديم نمط تفكير يبرز أكثر من نقطة هامة ضمن هذه المحاولة الأولية لتحليل مدى عمق و مكانة الهبة في مجتمعنا.

رأينا أن السائل الحيوي انطلاقته من الميزة حيوية إلى قلب الهوية و تقديم الدلالة الدينية ضمن أولويات الدوافع المحفزة للاستمرار في التبرع، لكن تأثير هذا العامل كان غير أساسي حيث استنتجنا أن هناك تدخل عوامل أخرى تعلقت بكل متبرع على حدا فمنهم ما ارتبط التبرع لديهم بالحوادث التي وقعت ضمن الإطار العائلي ، و منهم من قدم دافعا نفعيّا مادي و رمزي .

و مع إحداث التزاوج بين الغايتين يمكننا أن نقول أنّ التبرع بالدم يبرز معنى الروابط الابتدائية ويتجاوزها إلى الروابط الثانوية؛ هو انطلاقة من الذات إلى الغير و كذلك هو تفكير عقلاني يستعمل لبلوغ نهايات و بين الدافع النفعي و الدافع الإنساني خليط من الدوافع التي تقود إلى منفعة في نهاية المطاف .

وفي محاولة لتحليل الأسباب الداعية إلى العطاء خاصة إذا اقترن الأمر بعطاء من الذات أي من الجسد الفيزيائي تبين أن الأشخاص لم يبتعدوا عن تقديم التبرير النفعي الذي يحفزهم للمواصلة و إن تباينت درجة هذه المنفعة .

و مع استذكار أن الهبة نموذج ثلاثي و بتدخل تلك العوامل ما يمكن تشخيصه **" بالإنسان المعطاء"**؛ لأنه دائما في حالة ديّن، و لا يعطي إلا إلى أنه تلقى "المنفعة ، القيم الاجتماعية و العاطفة هي التي تؤسس الثلاث محركات الأساسية للفعل الإنساني و في منظور القيم الأكثر ترسخا في الحياة العاطفية دفعها أنها تستقبل بانفعالية شعورية .

الدم كما رآه **(ERWIN; 2006)**« دورات الدم ليست فقط حلقة مغلقة يسرى فيها داخل شرايين الجسد، هو هبة طبيعية توسعت إلى ممارسة اجتماعية تسمح لنا بتسليط الضوء على استمرارية إنتمائية بين أجساد اجتماعية هي في الأصل أنفا متباينة »[1]

[1]Grassineau ,D « Au fil du sang » op cit p 11 .

و بتوظيف الملاحظة المباشرة ، حاولنا رؤية؛ كيف أن للتبرع أن يكون موضع رهان عمومي حساس الذي يبرهن أن في المجال الصحة العمومية نقطة انعطاف بين الدوافع المعطاة للفعل و التي كانت بمثابة السبب المباشر في وقوعه ، و بين المتعاملين الذين يضعون سائل الدم ضمن علاقة تتدحرج بين مدّ و جزر .

ربما لو أن السياسة المنتهجة في الجزائر أكثر وضوحا و قانونية لظهرت دوافع خفية أكثر عمقا ، ولربما ما كان هناك تحفظ شديد للمواقف الخاصة لدى المتبرعين و لغير المتبرعين اتجاه المؤسسات المكلفة بجمع تبرعات الدم .

وفي الأخير نأمل أن نتمكن مستقبلا من أن ندرس الموضوع ونوسع الحقل الدراسي بإدراج فئات و ميادين مختلفة، راغبين من أن تكون للخلاصات الأنثروبولوجيّة تأثيرا واقعيّا و ملموسا على أرضية الميدان المتعلقة بهذا المجال.

مراجع البحث

1- Albarello,L ;(2003)« Apprendre à chercher, l'acteur social et la recherche scientifique» Edition Boeck .

Approches 2- Dianteill,E et Lowy,M ;(2005) « Sociologies et religion,

dissidentes » France, Edition PUF .

3- Dortier, J.F ; (2008) « Le dictionnaire des sciences humaines », France, Edition Sciences Humaines

4- Fassin, D ; (1996) « L'espace politique de la santé, essai de généalogie» Paris Presses Universitaire de France .

5- Grassineau ,D;(2007) « Au fil du sang, usages thérapeutiques et politiques du sang Humain à Ngazidja union des Comores » .mémoire de master 2en sciences sociales, France.

6- Godbout **,** J;(2002**)** «ce qui circule entre nous ;donner, recevoir, rendre», France Edition Seuil .

7- Godbout **,**j **;(**2000) ,(1ère éd 1992) « L'esprit du don » , Paris , Edition la Découverte& Syors .

8- Grossin, J. pierre ; (1996) « Sociologie des religions» Paris, Edition Gallimard.

9- Henrion, A ; Revue du M.A.U.SS « Le don de Sang », 2007.

10- Jodelet ,D ; (2007) « les représentations sociales » France, Edition PUF.

11- Kapfrer ;J, (1987) , « Rumeur » *le plus vieux média du monde*, France, Edition Seuil .

12- L'organisation mondiale de la santé, 25 Novembre,2004 « Sécurité transfusionnelle : Proposition d'instituer une journée mondiale du don de sang » rapport du secrétariat.

13 - Martin, Ch ; (2002) « Solidarité familiales l'illusion de renouveau l'ouvrage collective : familles, permanence et métamorphoses » France ,édi sciences humaine .

14- Mauss,M, « Essai sur le don , forme et raison de l'échange dans les société archaïques » in sociologie et anthropologie» .

15- Pangam , S ; (2006) « Pensé la solidarité, l'apport des sciences sociales», France , Edition Lien Social .

16- Papilloud,Ch ;(2002) « Le don de relation » *G.Simmel - M.Mauss*, France,

17- Paugam ,S ;(2006) « Repenser la solidarité», France, Edition Lien Social et PUF .

18- Stiner, Ph ; « Revue Française de sociologie » N°42-2 Avril- Juin , 2001 , "Don de sang et don d'organes" .

19- Titmuss ,R;(1972) «The gift relationship from human blood to social Policy»,New york vintage books .

20 - Walter ,P ;(2008),« Eloge de la confiance »,France, édit. Belin .
2 Edition L'Harmattan .

21 - Weber ,F ;(2001) « Max Weber »,France ,Edition HACHETTE supérieur.

22- Don de sang, article de wikipédia, l’encyclopédie libre, 2008.

23- مقدمة ابن خلدون: ـ بيروت ـ لبنان دار الكتب العلمية .

24- قاموس المنجد في اللغة والأعلام 1982 ، طبعة جديدة ومنقحة دار المشرق بيروت.

CENTRE HOSPITLALO- UNIVERSITAIRE D'ORAN
CENTRE DE TRANSFUSION "Chahid Hammadi Mekki "
73, Boulevard du Docte ir Benz rdjeb ORAN Tél : 34-39-73
E.mail : cts3 @sante.dz

FICHE D'IDENTIFICA ION DU CANDIDAT AU DON

N° : Date :
Nom :
Prénom :
Né (e) le :
Adresse :

Nom et signature de la secrétaire

1er Don ?
date et lieu du dernier don :
Occasionnel : oui non Rég... : oui non Compensa... oui non destination
T.A : mm Hg Poids :
Antécédents médicaux :
Antécédents chirurgicaux :
Prise médicamenteuse :
Grossesse, allaitement :
Volume à prélever : ml
Type de poche : simple double triple Lot :
Admission Ajournement provisoire Ajournement définitif
Motif : Motif :

Nom et signature du Médecin

Heure du prélèvement :volume prélevé :
Réaction au cours du don :

Nom et signature du préleveur

Centre hospitalo-universitaire d'Oran
Centre de Transfusion Sanguine « Chahid Hammadi Mekki ».

Questionnaire

NB : *Les informations recueillies sont confidentielles et soumises au secret médical . Ce questionnaire sera détruit après votre don . N'hésitez pas à poser des questions au médecin en cas de doute.*

Vous vous sentez en forme pour donner votre sang ?.....Oui Non
Avez –vous déjà donné votre sang ? .....Oui Non
Date du dernier don .....Oui Non
Etes vous à jeun ?.....Oui Non

Avez- vous dans votre vie :

Eté hospitalisé (e)..... Oui Non
Eté transfusé (e)..... Oui Non
Eu une maladie cardiaque (trouble du rythme cardiaque , valvulopathies , angor, IDM et/ ou hypertension)..... .....Oui Non
Eu une affection allergique grave et/ou de l'asthme.....Oui Non
Eu le diabète.....Oui Non
Eu un ulcère gastro-duodénal.....Oui Non
Eu une maladie dermatologique (acnée , psoriasis).....Oui Non
Eté traité (e) par hormone de croissance.....Oui Non
Voyager en Afrique , en Asie , en Amérique Latine.....Oui Non
Eu des relations sexuelles extra-conjugales non protégées.....Oui Non
Pris des drogues par voie injectable ou nasale.....Oui Non

Dans les 4 derniers mois ,avez-vous :

Eté opéré (e) au cours d'une hospitalisation et/ou subi une anesthésie générale ou Locorégionale.....Oui Non
Eté vacciné(e).....Oui Non
Subi une endoscopie.....Oui Non
Subi un tatouage ou piercing ou hidjama.....Oui Non
Guetaate ou djeraht ala boussefir.....Oui Non
Eu une infection urinaire.....Oui Non

Depuis une semaine , avez- vous :

Pris des médicaments ATB, CTC , Aspirine.....Oui Non
Subi des soins dentaires ?.....Oui Non
Eu de la fièvre.....Oui Non

<u>Pour la femme</u> :

Etes vous enceinte.....Oui Non
Avez- vous accouché ou fait une fausse couche depuis moins de 6 mois.....Oui Non

Madame , Monsieur

Le don de sang permet de soigner et de sauver des patients qui souffrent d'un déficit en composants sanguins dû à un accident ou à des maladies .
Le don de sang est une expression de solidarité , un sentiment de contribution à sauver des vies et donc de faire une bonne action .
Le don de sang peut être fait par toute personne en bonne santé , âgée de 18 à 60 ans
Après votre accueil , vous serez reçu par un médecin qui s'assurera que vous pouvez donner votre sang sans conséquence pour vous ni pour le malade qui recevra les produits issus de votre don .
Les informations recueillies sont confidentielles . Elles sont soumises au secret médical .

* Il est recommandé que vous ne veniez pas à jeun pour donner votre sang
Il est conseillé de prendre un repas léger en évitant une collation trop riche
* Il est également préférable de décaler votre don si vous prévoyez dans les 12 heures suivantes d'exercer une activité ou un sport pénible, dangereux ou vilolent .

Madame , Monsieur

Le don de sang permet de soigner et de sauver des patients qui souffrent d'un déficit en composants sanguins dû à un accident ou à des maladies .
Le don de sang est une expression de solidarité , un sentiment de contribution à sauver des vies et donc de faire une bonne action .
Le don de sang peut être fait par toute personne en bonne santé , âgée de 18 à 60 ans
Après votre accueil , vous serez reçu par un médecin qui s'assurera que vous pouvez donner votre sang sans conséquence pour vous ni pour le malade qui recevra les produits issus de votre don .
Les informations recueillies sont confidentielles . Elles sont soumises au secret médical .

* Il est recommandé que vous ne veniez pas à jeun pour donner votre sang
Il est conseillé de prendre un repas léger en évitant une collation trop riche
* Il est également préférable de décaler votre don si vous prévoyez dans les 12 heures suivantes d'exercer une activité ou un sport pénible, dangereux ou violent .

ما هي الخطوات التي أتبعها حتى أتمكن من التبرع؟

- سجل نفسك في قائمة وريد لصناعة الحياة ...
- سندعوك للتبرع بدمك مرتين أو ثلاثا في السنة...
- سنوجهك إلى مصلحة التبرع بالدم أين ستحظى باستقبال حفي..
- سيفحصك طبيب المصلحة حفاظا على صحتك و صحة المريض.

تيقن أن التبرع بالدم عملية أمنة، لا تتجاوز 20 دقيقة تعيد الحيوية و النشاط لجسمك بسبب تجدد خلايا الدم.

جمعية صناعة الحياة

تأسست سنة 2004 :

تقوم بأعمال خيرية من خلال مشاريع عديدة منها :

مشروع وريد

هدفه: تحقيق الإكتفاء الذاتي لحاجات مراكز التبرع بالدم في الجزائر:

ذلك بجمع قائمة مفتوحة لأكبر عدد من المتبرعين المنتظمين.

طريقة عمل وريد : الاتصال بالمتبرعين بانتظام 2 أو 3 مرات في السنة و تذكيرهم بالتبرع بالدم

للإتصال :

العنوان: 50 شارع بن زرجب البلاطو- وهران

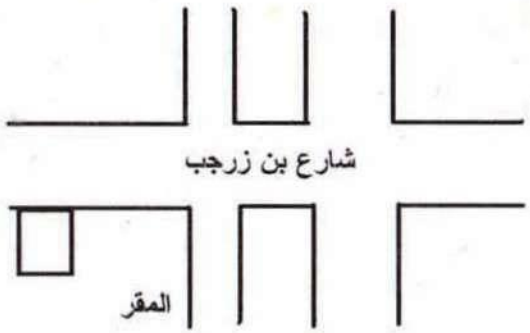

مشروع وريـــد

جمعية صناعة الحياة
مشروع وريد

تبرعك المنتظم

بصمة في سجل التضامن

هل تعلم؟

- أن جسمك هو المصنع الوحيد الذي ينتج الدّم.
- أن جسمك يصنع يوميا ملايين الخلايا الدموية.
- أن دمك يتكون من صفائح، كريات حمراء و بيضاء و بلازما.
- أن دمك يمكن أن ينقذ ثلاثة أشخاص عند فصل مكوناته و ليس شخصا واحدا.
- أن كمية الدم التي يتم أخذها منك عند التبرع تتراوح من 400 إلى 450 ميليلتر أي ما يعادل 1/12 من حجم الدم الموجود داخل جسمك و المقدر بـ 5-6 لترات.

لمن أتبرع؟

- مرضى سرطان الدم.
- المصابون بسرطانات أخرى.
- مرضى فقر الدم.
- المرضى الذين هم بحاجة لجراحة.
- ضحايا حوادث المرور.

لماذا أتبرع؟

- لأن الدم لا يصنع في المخابر و لا يباع في الصيدليات...
- لأنه في كل ثانية هناك شخص يحتاج إلى نقل الدم...
- لأن واحدا من كل عشرة مرضى يدخلون المستشفى هم في حاجة إلى نقل الدم...
- لأننا لا نزال نعاني من عجز في كفاية المحتاجين لهذه المادة الحيوية

هل أستطيع التبرع؟

- إذا كان عمرك يتراوح ما بين 18و 60 سنة،
- إذا كنت تتمتع بصحة جيدة، خاصة يوم التبرع، ولا تعاني من أي مرض يتعارض مع عملية التبرع،
- إذا كان وزنك حوالي 55كلغ.

الحياة أخذ و عطاء...
أعط الدم لمن تحب.

لماذا-مع توفر هذه الشروط في أغلبية الناس- يستمر العجز؟

- تخشى انتقال الأمراض المعدية؟

الوسائل المستخدمة معقمة و لا تستخدم لشخص آخر و يتم التخلص منها مباشرة بعد العملية

- مشغول جدا و ليس لديك وقت؟

من السهل منح 20 دقيقة لإنقاذ مريض.

- تخاف الحقن

اعلم أخي أن المريض ينتظر وخزة الإبرة بشوق لأنها تهب له الحياة

- تظن أنك ضعيف البنية

إذا كان وزنك 55 كغم أو أكثر فيمكنك التبرع .

- تظن أن فصيلة دمك موجودة بكثرة؟

هذا ما يجعل الكثير من المرضى بحاجة إليك.

- لم يطلب أحد منك التبرع؟

ها نحن نوجه لك نداء المرضى

ملخـــــص البحث:[1]

" التـــبرع بالـــــدم في الجـــزائر "

دراســـــة سوسيو- أنثـــــــروبولوجية

البحث الذي نحن في صدد تقديمه عبارة عن دراسة سوسيو أنثروبولوجية عن التبرع بالدم ، هذا الموضوع لم يعالج من قبل في الجزائر على الرغم من الأهمية الذي يكتسيه نظرًا لتأثيره في مجال الصّحة العمومية .

تكمن هذه الأهمية في نقص عدد المتبرعين في الدم خاصة منهم المنتظمين منهم ذلك حسب ما أبرزته لنا الإحصائيات التي اعتمدنا عليها ؛ لكن مقابل هذا النقص هناك فئة قليلة منتظمة الأمر الذي دفعنا إلى طرح التساؤل الذي يتعلق بوجود فئة تتبرع بوتيرة على الرغم من أنّ المحيط العام غير مشجع على ذلك ، حيث حاولنا من خلال هذا البحث الكشف عن الدوافع من وراء ذلك.

أبرزنا في الجزء الأول من العمل كلاً من الجانب النظري والمنهجي المعتمد عليه الذي رأينا أنّه يتوافق ومتطلبات البحث وقد تمّ اختيار مركز حقن الدم كفضاء أوليّ للبحث الميداني لنتجاوزه إلى أماكن أخرى تراوحت بين مكان العمل والسكن الأمر الذي ساعدنا على بناء مخطط سوسيولوجي بالرجوع إلى التساؤلات التي استنتجت خلال إجراء تقنية الملاحظة المباشرة لنتمكن من تحديد المحاور الرئيسية للموضوع .

عند المباشرة في البحث حاولنا أن نحدث تجانس بين الوقائع الميدانية بالغوص بصفة غير مباشرة مع الفاعلين الاجتماعين من المتبرعين وطاقم طبيّ قائم على تسيير العملية وكذا ملاحظة التواصل الذي يحدث بينهم ، وبين المتبرعين الذين تعاملنا معهم مباشرة

الكلمات المفتاحية : التبرع بالدم – الصّحة العمومية – المجتمع .

عبر تقنية المقابلة مركزين على إبراز التصورات الرمزية للدم وبالتبرع به الأمر الذي استدعى سرد وقائع يومية وأحداث ذات الصلة بالتبرع وكانت الداعي إلى الاستمرارية

في عملية التبرع ، إضافة إلى الرؤية التي يحملها المتبرع للمؤسسة المكلفة بجمع وتسيير تبرعات الدم ، هذا الجانب الذي مثّل لنا تكميلاً للمعطيات التي استنتجت من الملاحظة التي تمّ رصدها على مستوى المركز .

بعد استكمالنا لعملنا الميداني وصلنا إلى مرحلة التحليل ، التي حاولنا خلالها المزج بين المعطيات الميدانية والقراءات التي اطلعنا عليها التي كانت في معظمها تتناول موضوع " الهبة " والدراسات الأنثروبولوجية التي اهتمت بسائل الدم كموضوع دراسة ، ولأنّ موضوع التبرع بالدم ذو صبغة حديثة كان ولابد من تحليل يشمل كلا من الجانبين من منظور سوسيو- أنثروبولوجي مع الانتباه في خلق نوع من السلاسة بين هذه العناصر.

وبما أنّ الهدف الرئيسي من هذا البحث هو الكشف عن الدوافع من وراء التزام بعض الفئة بالتبرع بالدم ، وصلنا إلى أنّ التبرع سلوك ارتبط بجملة من التصورات مع أسباب كانت الدافع وراء هذه الممارسة ، فقد أعْطِيَ الفعل السلوكي دلالة رمزية وتقديم التبرير الديني له من بين أسباب الإقبال عليه ؛ إلاّ أنّ تأثيره غير كاف ، فقد استنتجنا من خلال سرد مسارات بعض المتبرعين والتي بينت أن للأحداث التي عايشها البعض منهم ذات الصلة المباشرة بعملية التبرع ، فمن خلال الخطابات تبين أنّ الدافع النفعي المادي منه والرمزي من الأسباب الموضوعية في الاستمرار .

إنّ التبرع بالدم وإنْ كانت دوافعه الذاتية تشمل المعاني التي تتوجه إلى مفاهيم كالعفوية فهي تبرز قوة الروابط الاجتماعية بين الأفراد ولكن ذلك لم يعني خلوّه من خاصية العطاء والرّدّ وإنْ تباين بين ما هو مادي وما هو قيْميّ.

أما فيما يخص علاقة المتبرع ورؤيته للمؤسسة المكلفة بجمع وتسيير ما يتوافد عليها من تبرعات فقد وجدنا أنّ المتبرع على الرغم من الرؤية التي يسودها الارتياب فيما يتعلق بتتبع مسار الدم الذي يتبرع به ، إلاّ أنّه يلجأ إلى استرتتيجية هي التي تشجعه على المواصلة ، هذه الاستراتيجية تكتسي الميزة النفعية مع المؤسسة نظرًا لاستفادته من بعض الخدمات .

الملخص

البحث الذي نحن في صدد تقديمه عبارة عن دراسة سوسيو أنثروبولوجية عن التبرع بالدم ، هذا الموضوع لم يعالج من قبل في الجزائر على الرغم من الأهمية الذي يكتسيه نظرًا لتأثيره في مجال الصّحة العمومية .

أبرزنا في الجزء الأول من العمل كلاً من الجانب النظري والمنهجي المعتمد عليه الذي رأينا أنّه يتوافق ومتطلبات البحث وقد تمّ اختيار مركز حقن الدم كفضاء أوليّ للبحث الميداني لنتجاوزه إلى أماكن أخرى تراوحت بين مكان العمل

وبما أنّ الهدف الرئيسي من هذا البحث هو الكشف عن الدوافع من وراء التزام بعض الفئة بالتبرع بالدم ، وصلنا إلى أنّ التبرع سلوك ارتبط بجملة من التصورات مع أسباب كانت الدافع وراء هذه الممارسة ، فقد أعْطِيَ الفعل السلوكي دلالة رمزية وتقديم التبرير الديني له من بين أسباب الإقبال عليه ؛ إلاّ أنّ تأثيره غير كاف ، فقد استنتجنا من خلال سرد مسارات بعض المتبرعين والتي بينت أن للأحداث التي عايشها البعض منهم ذات الصلة المباشرة بعملية التبرع ، فمن خلال الخطابات تبين أنّ الدافع النفعي المادي منه والرمزي من الأسباب الموضوعية في الاستمرار .

أما فيما يخص علاقة المتبرع ورؤيته للمؤسسة المكلفة بجمع وتسيير ما يتوافد عليها من تبرعات فقد وجدنا أنّ المتبرع على الرغم من الرؤية التي يسودها الارتياب فيما يتعلق بتتبع مسار الدم الذي يتبرع به ، إلاّ أنّه يلجأ إلى استرتتيجية هي التي تشجعه على المواصلة ، هذه الاستراتيجية تكتسي الميزة النفعية مع المؤسسة نظرًا لاستفادته من بعض الخدمات .

الكلمات المفتاحية:

الدم؛ التبرع؛ الدلالة الرمزية؛ المنفعة الرمزية؛ التضحية؛ التسير العمومي؛ الإشاعة؛ الأسرة؛ الصحة العمومية؛ الصحة الجوارية.